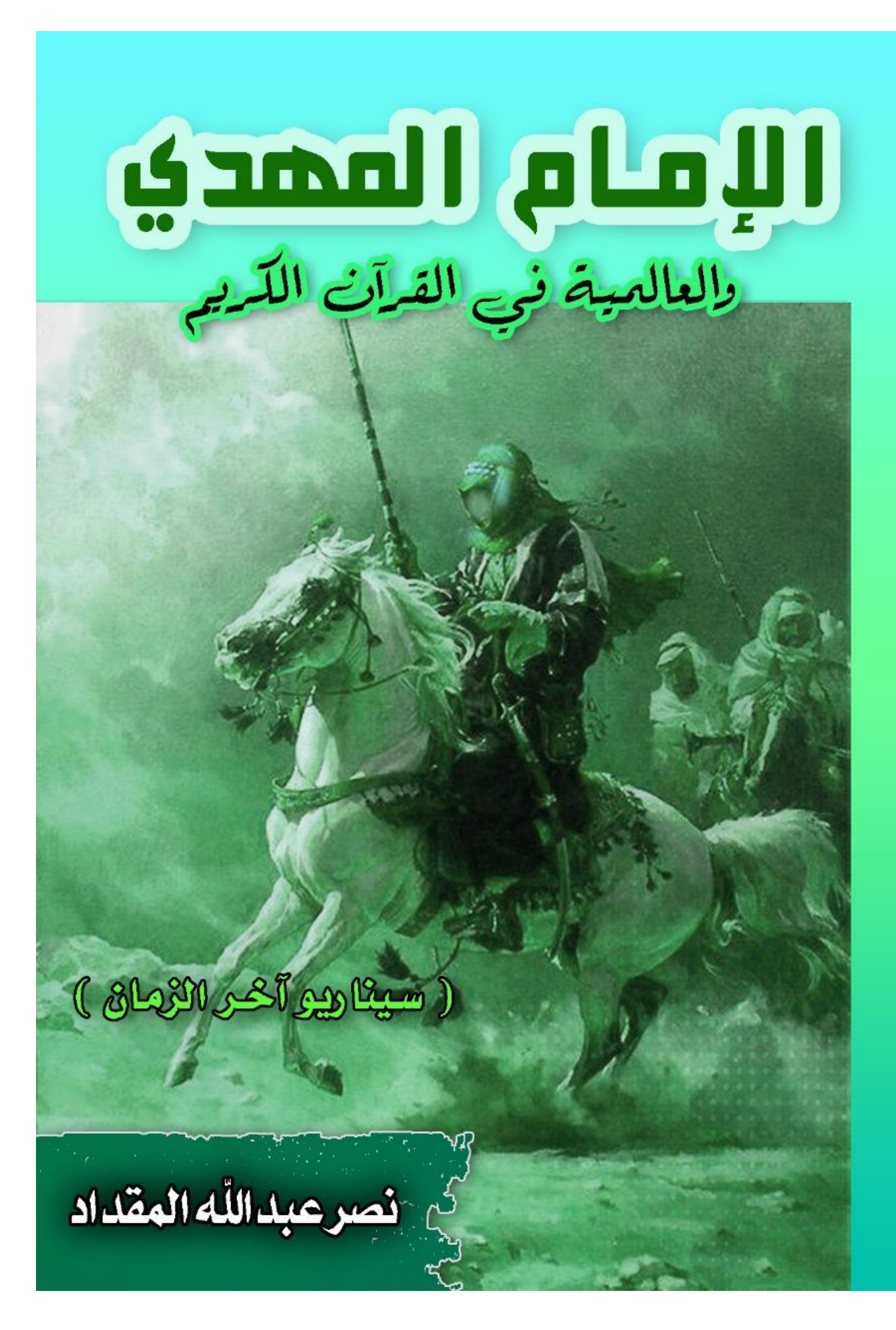

الإمام المهدي
والعالمية في القرآن الكريم
( سيناريو آخر الزمان )
نصر عبد الله المقداد

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإمام المهدي

# والعالمية في القرآن الكريم

(سيناريو آخر الزمان)

نصر عبد الله المقداد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

**{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الفاتحة:٢]

وقال تعالى:

**{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}** [النور:٥٥]



# مواضيع الكتاب

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب هدى للعالمين، وأرسل نبيه رحمة للعالمين، وجعل المسيح وأمه عليهما السلام آية للعالمين، وختم الكتب بالقرآن العظيم مبشراً ونذيراً للعالمين، واختار دين الإسلام ديناً للعالمين، واصطفى من بلاده بكّة هدى للعالمين، وجعل الأرض المقدسة بركة للعالمين، وجعل سفينة نوح منجاة للعالمين، فسبحانه وتعالى يصطفي من عباده وكتبه وأرضه ما يشاء، لا يُسأل عن ذلك جلّ في علاه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، بالرسالة العالمية، والكتاب العالمي، والمنهج العالمي، لتحقيق العدل للعالمين، فبه كانت البداية وبآله ستكون النهاية، خلافة ومنهجاً قيّماً، دليلاً لصلاح هذا الدين، وهذا المنهج، ومن يصطفيه من الآل، للعالمين إلى يوم الدين.

وبعد، فقد قرأت كثيراً مما كُتب عن المهدي الموعود، إنكاراً وإثباتاً، في جميع المذاهب والملل كشخصية أخروية مصلحة أو كمخلِّص من الشرور والحروب والظلم، وناشرٍ للعدل والخير والقسط.

والحقيقة التي خرجت بها، أنه لو لم يكن لدينا نحن المسلمين حديث واحد يخبر عن المهدي، لكفى القرآن الكريم والسيرة النبوية، أن يجعلاني متيقناً أنه من العدل الإلهي أن يوجد شخصية كهذه في آخر الزمان، حتميةً عقلانية، لا عاطفية مبالِغة، ولا تخيلاً فوضوياً.

فالمسألة لا تحتاج إلا إلى تركيز في الغاية من الخلق والاستخلاف، ثم النظر في أكرم البشر على الله تعالى، وانتقال النبوة في نسل إبراهيم، في فرعي الأمم، ثم انقطاع النبوة والمآل

الطبيعي لاستخلاف البديل النائب عن النبوة، والحكم الفصل بين آخر أجيال الفرعين المتصارعين في الدنيا على أحقية الوراثة.

أما من حيث الاستقلالية، فشخصيات كثيرة في التاريخ البشري، حامت حولها التساؤلات والتكهنات، ولم يصلوا إلى إجابة تتفق عليها العقول كافة، فتناقضت فيها الأقوال من أقصى حالات الإنكار إلى أشد حالات الغلو إيماناً بها بلا أدلة نقلية.

ومن هذه الشخصيات: شخصية الخضر، وشخصية السامري، وشخصية الدجال، وغيرها مما ذُكر في الكتاب والسُّنة، أو عند أهل الكتاب من قبل، ولكن بتصوري أن ما يجمع هذه الشخصيات أنها شخصيات مستقلة، لها مهام كلِّفت بها لزمان محدد.

ومن تلك الشخصيات، شخصية المهدي الموعود عند المسلمين، مع اختلاف كلي في التفاصيل واختلاف في الأدلة، بين شخصية المهدي عند الشيعة و شخصية المهدي عند السنة، واختلاف أكبر عن شخصية المخلِّص عند أهل الكتاب.

لذا جاء هذا الكتاب ليكون محاولة مستقلة، وقراءة جديدة، تبحث في موضوع العالمية في القرآن الكريم، وهي محاولة – في حدود علمي وبحثي – غير مسبوقة، إذ لم يتطرق إليها باحث من الزاوية التي قمت بدراستها، لأقوم باستنباط ما يمكننا أن نفهم من خلاله قضية الربط بين العالمية في القرآن الكريم وبين مسؤولية آل البيت الأطهار في الحكم وعالمية المهدي.

ثم الحديث عن الربط في مفهوم (العالمية) بين عالمية النبي محمد ﷺ، وعالمية شخصية المهدي.

عالمية نبي الله سيدنا محمد ﷺ ليس بوصفه نبياً مرسلاً فحسب، بل وبوصفه صاحب منهج متكامل، دينياً ودنيوياً، بما يضمن السعادة والعدل للبشرية جمعاء، وكذلك لآل بيته الذين اختارهم الله واصطفاهم لأداء مهامٍ عظيمة في الأرض، هذه المهام تربط البداية بالنهاية، أي منذ مبعثه صلى الله عليه وسلم وحتى قيام الساعة، وسأقدم على ذلك – إن شاء الله – الأدلة العملية والعقلية والنقلية.

وعالمية (شخصية) المهدي الموعود، الذي جاءت الأخبار عنه في الأحاديث النبوية، والتي تتحدث عن آخر الزمان، ويشابهها "عالمية مزيفة" لشخصيات متعلقة أيضاً بأحداث آخر الزمان، عند الديانات السماوية الأخرى، وفي بعض الموروثات والأساطير والمعتقدات لدى الشعوب المختلفة.

فكثيرٌ من الشعوب والملل لديهم في معتقداتهم شخصية منتظرة، تمثل لهم النهاية السعيدة والعدل وربما الخلود عند بعضهم، ولكلٍ منهم أدلته والسيناريو الذي يعتقده ويتوقعه.

ما يهمنا في هذا الكتاب، هو تلك الشخصية التي كثر الحديث عنها، عند المسلمين بمذاهبهم وفِرقهم كافة، وعند أهل الكتاب، مما جعل منها شخصية عالمية ينتظرها الجميع.

والأسئلة التي سنحاول الإجابة عليها في هذا الكتاب هي:

ما الأدلة العقلية والنقلية على وجود شخصية المهدي؟ وما أدلة عالميته؟ وما الدليل على أن الشخصية المذكور في كتب المسلمين هي الشخصية الحقيقية؟ وما المهمة الختامية لهذه الشخصية؟ ومتى سيكون زمانها؟

وعلى بركة الله وتوفيق منه نبدأ..

# الفصل الأول

# العالمية في القرآن الكريم

## "العالمين" لغة واصطلاحاً:

**لغة:** جاء في لسان العرب: (**{الحمد لله رب العالمين}**: قال ابن عباس رضي الله عنهما: رب الجن والإنس، وقال قتادة: رب الخلق كلهم. قال الأزهري: الدليل على صحة قول ابن عباس قوله عز وجل: **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان:١]، وليس النبي ﷺ نذيراً للبهائم، ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله، وإنما بعث محمد ﷺ نذيراً للجن والإنس، وقال الزجاج: معنى العالمين: كل ما خلق الله، كما قال: {وهو رب كل شيء}، وهو جمع عالم، قال: ولا واحد لعالَم من لفظه، لأن عالَماً جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالم لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة).

وقال ابن كثير في تفسيره: "العالمين: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله، والعالم جمع لا واحد من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات والأرض في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضاً".

**الخلاصة:** إن العالمين كلُّ موجود سوى الله تعالى، إذاً اللفظ يشتمل على الإنس والجن وغيرهما من العوالم، وسوف أستثني في تعريفي الاصطلاحي وفي الكتاب عموماً عالم الجن، وبقية العوالم الأخرى، ليقتصر الكلام على عالم الإنس وحسب، فهو هدفنا وغايتنا من الكتاب، ولنقلل دائرة البحث من العالمين إلى عالم واحد، يختص ببني البشر، والتي من مرادفاتها: الإنسانية والأنام والناس والبشرية، لكي نغوص في أسرار هذا العالم بما يخدم فكرة الكتاب: (العالمية في القرآن، وعالمية المهدي)، منطلقين بإذن الله تعالى من كتاب الله تعالى وحديث نبيه المصطفى ﷺ لفهم معاني العالمية.

ما هو هذا العالم؟ وما هي العالمية الإنسانية، أو العالمية البشرية.. إلخ؟

**اصطلاحاً:** لم أجد – في حدود بحثي – تعريفاً علمياً متفقاً عليه لمصطلح "العالمية"، فقد تعددت الآراء والتعاريف حولها، فعلى سبيل المثال، يقول د. محمد عمارة: "إن العالمية هي نزعة إنسانية، وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم "منتدى

حضارات"، بينها مساحة كبيرة من "المشترك الإنساني العام" ولكل منها هوية ثقافية تتميز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها، في إطار "توازن المصالح" وليس "توازن القوى" بين هذه الأمم والحضارات"[١].

وفي النظر إلى القرآن الكريم، في محاولة مني لاستنباط معاني "العالمية" منه، وجدت الآتي: يقول تعالى: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [الحجرات:١٣]

في هذه الآية الكريمة أربعة مقاطع، فالأول: خطاب عالمي للناس كافة، يُبين المساواة في كون جميع البشر من أصل واحد، والثاني: يبين أن العالَم شعوبٌ وقبائل، وأن الغاية من جعلهم شعوباً وقبائل هو التعارف فيما بينهم، والثالث: أن التفاضل العالمي بين الناس هو التنافس على تقوى الله تعالى، والرابع: أن لهذا حكمة عند العليم الخبير سبحانه وتعالى.

وبمزيد من التوسع لتلك المقاطع الأربعة:

**أولاً: الشعوب والقبائل:**

قال المفسرون إن الشعوب هي الأنساب البعيدة، والقبائل هي ما دون ذلك كالبطون والأفخاذ من القبائل، وقال ابن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: "الشعوب جمع شعب، وهو مجمع القبائل التي ترجع إلى جدّ واحدٍ من أمة مخصوصة، ...واقتصر على ذكر الشعوب والقبائل لأن ما تحتها داخل بطريق لحن الخطاب، وتجاوز القرآن عن ذكر الأمم جرياً على المتداول في كلام العرب في تقسيم طبقات الأنساب إذ لا يدركون إلا أنسابهم".

**ثانياً: التعارف:**

قال ابن عاشور رحمه الله: ".. وجُعلت علّة جَعْل الله إياهم شعوباً وقبائلَ وحكمته من هذا الجعل أن يتعارف الناس، أي يعرف بعضهم بعضاً".

[١] بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، د. محمد عمارة، ص١١.

**ثالثاً: التفاضل:**

ثم حدد تعالى أن الأفضل والأنفس والأشرف بين الناس، هم الأتقى له سبحانه، فجعل مقياس التنافس في الأفضلية هو التقوى، والتقوى تتطلب اتباع أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه، وقد كان من فطرة الله تعالى وسننه، أن جعل التعارف بين الناس غريزة وطبيعة فطرية فيهم، للخلافة في الأرض وإعمارها بعد أن أصلحها الله تعالى لذلك، وسخّرها لهم.

قال تعالى: **{وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ}** [الرحمن:١٠]، قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: "أي: الأرض كل الأرض للأنام كل الأنام".

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للأفضلية مقاييسَ، تفسر وتبين ما جاء في كتاب الله تعالى، منها – على سبيل المثال لا الحصر – قوله صلى الله عليه وسلم: (**خير الناس من يُرجى خيره ويؤمُن شره، وشر الناس من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شره**)[١]، لتنطلق هذه الخيرية العالمية للأمة الإسلامية من قوله تعالى:

**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون}** [آل عمران:١١٠]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}**: قال: "خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"[٢].

فأي نفع للإنسانية أعظم وأكبر من أن يُؤخذ بهم إلى خير الدنيا، والخلود في جنات الآخرة؟ لا شك أنه ليس بعد هذا الخير من خير، ومن هنا تظهر **عالمية الدين الإسلامي**، الذي جاء ليذكّر العالَمِين بغاية وجود الخلق وهي عبادة الله تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}** [الذاريات:٥٦]

---

[١] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

[٢] رواه البخاري.

ولهذا نجد أن الخطاب القرآني جاء للناس أجمعين – **وهذه عالمية القرآن** — جاء من ربّ العالمين، ليدلهم على ما فيه الخير للعالمين، في إعمار دنياهم، والخلود في الآخرة في الجنة.

لذا لم يأتِ هذا الخطاب القرآني العالمي للعرب فقط، ولا لأمة بعينها، بل للإنسانية جمعاء، ومن نماذج ما جاء في هذا الخطاب قوله تعالى: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}** [البقرة:٢١]، وقوله {لعلكم تتقون} تذكّرنا بقوله تعالى {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

وقال تعالى في خطاب عالمي آخر، مبيناً للناس ما أحلّ لهم، ومحذراً إياهم من ألدّ أعداء الإنسان: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين}** [البقرة:١٦٨].

وفي خطاب عالمي آخر، يخبر سبحانه وتعالى أن رسولاً عالمياً يحمل الحق والخير لهم قد أرسله إليهم، وأنه الرحمة العالمية: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}** [النساء:١٧٠]. وقال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}**[الأنبياء:١٠٧]، وقال: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}** [النساء:١٧٤]، وقال: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}** [الأعراف:١٥٨].

وقال تعالى مُذكّراً الناسَ بأن لا خالق ولا رازق سواه سبحانه جلّ في علاه: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون}** [فاطر:٣]

وهكذا.. فالشواهد في كتاب الله تعالى كثيرة، وبالنظر إلى ما سبق من آيات، نستطيع تجميع عدة مفردات لتعريف للعالمية، من حيثيات مختلفة، فنقول:

– إن العالمية تكمن في مخاطبة كل من ينتمي للإنسانية.

- إن العالمية هي التنافس على الفوز برضوان الله تعالى.

- إن العالمية هي تقديم الخير والنفع "الدنيوي والأخروي" للبشرية جمعاء.

- إن العالمية هي مجموعة القيم الفاضلة والمثُل العليا التي ينادي بها عقلاء وحكماء العالم جميعاً، من عدل ومساواة وحفظ للضروريات الخمس: النفس والنسل والدين والعقل والمال، بالإضافة إلى الحرية والتقدم والازدهار.

فإذاً إن الوصول إلى العالمية، لابد له من شروط تدور في فلك التأثير الإيجابي في هذا العالم بما ينفع الناس، ويعمل على تقدمهم وازدهارهم.

إذاً فالعالمية والإنسانية وجهان لعملة واحدة، هي عبادة الخالق سبحانه، ونفع خلقه بصفتهم خلفاء في الأرض لإعمارها تحت شرط: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات:١٣]، قال تعالى:

**{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}** [البقرة:٣٠]، **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}** [الأنعام:١٦٥]، **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون}** [يونس:١٤]، **{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ}** [يونس:٧٣]، **{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا}** [فاطر:٣٩]

**الخلاصة:** العالمية – حسب ما ذكرنا – تنقسم إلى شقّين رئيسين: الأول: عبادة الله. والثاني: الخلافة في الأرض وفق ما أمر الله، ولِفَهم هذين الشقين والتوسع بهما، نجد أن القرآن الكريم – فيما أزعم ولا أتجرأ على الله تعالى – قد بين أن للعالمية خمسة أركان هي:

(عالمية الأشخاص، وعالمية الكتاب والمنهج، وعالمية الأماكن، وعالمية الوسائل-وعالمية الدين).

وسوف نفصل هذه الأركان الخمسة للعالمية بعون الله تعالى.

## أركان العالمية الخمسة:

ورد لفظ "للعالمين" في القرآن ثلاث عشرة مرّة، ودون حرف اللام أي: "العالمين" إحدى وستين مرّة، بدأت بأول آية من آيات كتاب الله تعالى: **{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين}** [الفاتحة:٢]

وكذلك كانت آخر سورة وآخر آية من آيات كتاب الله في المصحف الشريف:

**{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس (١) مَلِكِ النَّاس (٢) إِلَهِ النَّاس (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاس (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاس}** [الناس].

فبدأت العالمية مع كتاب الله تعالى من أول آية فيه، وخُتمت مع آخر آية في آخر سورة فيه، وكأنها إشارة إلى عالمية الخطاب، للتنبيه إلى أن ما بينهما من آيات وسور تخاطب البشرية جمعاء، وبأن رب العالمين، قد أنزل كتاباً للعالمين، في رسالة عالمية، مع رسول عالمي:

**{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}** [الأعراف:١٥٨].

## أولاً: عالمية الأشخاص:

فبالاستقصاء والنظر في كتاب الله تعالى، نجد أن صفة العالمية قد حُصرت في ثلاثة أشخاص، تدور حولهم العالمية، كما يدور حولهم أكثرية البشر على الأرض، وترتبط فيهم العقائد، ولهم ارتباط وثيق بأشراط الساعة الكبرى.

**أما الشخصية الأولى:** فهي تتمثل في شخص رسول الله سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}** [الأنبياء:١٠٧].

وقال تعالى: **{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}** [الأعراف:١٥٨].

**وأما الشخصية الثانية والثالثة:** فنعني بهما عيسى وأمه مريم عليهما السلام، وهما شخصيتان تتصفان بأكثر من صفة:

الأولى: هي صفة الإعجاز الإلهي في طلاقة القدرة على الخلق بـ(كُن).

والثانية: أن إحدى الشخصيتين مرتبطة بأحداث آخر الزمان.

والثالثة: أن هذه الشخصية تشكل مفصلاً رئيساً بين الشرائع السماوية الثلاث، قال تعالى: **{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: ٩١]

فسيدنا عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وأمه عليها السلام، هما آيتان عالميتان، والمسيح صلى الله عليه وسلم هو من سينزل في آخر الزمان ليتسلم مقاليد الحكم من "الإمام والأمير" المهدي، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

قال صلى الله عليه وسلم: (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**). وقال صلى الله عليه وسلم: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**).

فكان ابن مريم صلى الله عليه وسلم آية من آيات قرب قيام الساعة، قال تعالى: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}** [الزخرف: ٦١].

ومعلوم أن سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم قد أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، فما آمن به إلا قليل منهم، ثم اختلف الذين آمنوا به، فمنهم من اعتقد بألوهيته، ومنهم من اعتقد ببنوّته، قال تعالى:

**{وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد}** [البقرة: ٢٥٣]

**{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلا}** [النساء: ١٧١]

**{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [المائدة:١٧]

**{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}** [المائدة:٧٢]

**{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}** [المائدة:١١٦]

وسوف نتحدث بإذن الله تعالى عن الربط بين عالمية المسيح صلى الله عليه وسلم، وعالمية المهدي، بتوسع في الفصل الثالث من الكتاب.

والخلاصة: إن سيدنا عيسى ﷺ هو الشخصية العالمية الختامية ويقع على عاتقه أن يفصل بين الأمم جميعها، تلك التي ستتبقى إلى زمن نزوله، و أما المهدي فهو الشخصية العالمية التي ستفصل بين المذاهب والفِرق التي غالت فيه وفي آل البيت، ليجمع شملَ البيت الداخلي ويعيد للجهاد صورته التي تم خطفها من مدعي الجهاد، وإن لم يخل زمنٌ من الصادقين.

ثم يسلِّم المهدي راية الحكم للسيد المسيح ﷺ ليكون قائد المعركة النهائية، معركة القضاء على الدجل رمز الضلالة والطاغوتية.

## ثانياً: عالمية الكتاب والمنهج:

أشرت آنفاً إلى عالمية القرآن الكريم، وإلى عالمية الخطاب فيه، قال تعالى:**{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان:١]. قال ابن كثير:(أَيْ: إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:**{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}**.

وقال تعالى: **{إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}** [ص:٨٧]. قال ابن كثير رحمه الله: يَعْنِي: الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، قاله ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس في قوله: (لِلْعَالَمِينَ) قَالَ: الْجِنُّ وَالْإِنْسُ).

وقال تعالى: **{إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين}** [التكوير:٢٧]، قال ابن كثير: (أَيْ هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ وَيَتَّعِظُونَ).

فالقرآن الكريم هو نذير وبشير، وفيه التذكير للناس كافة، يُقدم لهم المنهج العالمي، لصلاح الدنيا والآخرة، كما وفيه ذكر للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ولقومه:

**{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُون}** [الأنبياء:١٠]

**{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُون}** [الزخرف:٤٤]

والمنهج هو الطريق لفهم نصوص الوحيين بصورة صحيحة بلا إفراط ولا تفريط، ومنهج الدعوة الصحيح له جناحان: الترغيب والترهيب، أو الإنذار والتبشير، ، كما قال تعالى:

**{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِير}[فاطر:٢٤]**

وهذا المنهج هو منهج علمي عالمي يوافق الفطرة والعقل، إذ لا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله تعالى وفق أسلوب واحد كما لا يستطيع الطير أن يطير بجناح واحد، فالبشارة أو الترغيب وحده لن يجدي نفعاً مع من لا يرتدع إلا بما يخيفه ويرهبه ويذكّره بعذاب الله الشديد.

وكذلك منهج الترهيب والإنذار وحده لا يجدي نفعاً، بل قد يكون منفّراً لأن الإنسان بطبعه وفطرته يحتاج إلى ما يُرغّبه ويُشعره بالاطمئنان، لذا جمع الله لنبيه ﷺ جناحي المنهج الدعوي ليكون مرسلاً للعالمين بما يفهمه الجميع بحسب ميولهم إلى جناحي المنهج.

وبما أن كتابنا هذا عن المهدي وهو من أشراط الساعة، فهو يحمل البشرى للأمة بنهاية الظلم والجور، وينذر الطغاة والجبابرة بنهايتهم المأساوية.

## ثالثاً: عالمية الأماكن: (مكة وبيت المقدس) أو (الحجاز والشام)

وقد ورد في القرآن ذكر بقعتين من بقاع الأرض، اختصهما الله تعالى ووصفهما بالعالمية، قال تعالى: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِين}** . [آل عمران:٩٦]

قال ابن كثير: (يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس، أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده (للذي ببكة) يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجون

إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه. ولهذا قال: (مباركا) أي وضع مباركا (وهدى للعالمين).

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: "**المسجد الحرام**". **قلت: ثم أي؟ قال:** "**المسجد الأقصى**". **قلت: كم بينهما؟ قال:** "**أربعون سنة**". **قلت: ثم أي؟ قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصل، فكلها مسجد**"). وأخرجه البخاري، ومسلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا شريك عن مجالد، عن الشعبي عن علي في قوله تعالى: **{إنّ أوّلَ بيتٍ وُضعَ للنّاس للّذي بِبَكّة مُباركاً}** قال: كانت البيوت قبلة، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله تعالى.

وقوله تعالى: (للذي ببكة) بكة: من أسماء مكة على المشهور، قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى: يبكون بها ويخضعون عندها. وقيل: لأن الناس يتباكون فيها، أي: يزدحمون.

قال قتادة: إن الله بكّ به الناس جميعاً، فيصلي النساء أمام الرجال، ولا يفعل ذلك ببلد غيرها. وكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب، ومقاتل بن حيان.

وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رحم، وأم القرى، وصلاح، والعرش على وزن بدر، والقادس، لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، وَالنَّاسَّةَ: بالنون، وبالباء أيضا، وَالْحَاطِمَةَ، وَالنَّسَّاسَةَ، وَالرَّأْسَ، وَكُوثَى، وَالْبَلْدَةَ، وَالْبَنِيَّةَ، والكعبة).

فمكة هي انطلاقة الهدى للعالمين، وإليها تأوي أفئدة الناس من آمن منهم بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الآخر، هي انطلاقة الرسالة العالمية، التي اختار الله لها النبي العالمي صلى الله عليه وسلم، لتكون خاتم الرسالات، بخاتم الأنبياء، وخاتم الكتب، وخاتمة البقاع التي يبعث الله منها نبياً مرسلاً. وسنربط بين هذه العالمية وعالمية المهدي، في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

وقال تعالى: **{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء:٧١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أنه سلمه الله من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها، كما قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قوله: (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال: الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة. وكذا قال أبو العالية أيضاً. وقال قتادة: كان بأرض العراق، فأنجاه الله إلى الشام، [وكان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام] وما نقص من الشام زيد في فلسطين. وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم، عليه السلام، وبها يهلك المسيح الدجال).

والشام هي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، فكانت بركتها عالمية على مرّ التاريخ، ومعلوم أن الشام هي أرض الخلافة في آخر الزمان، فجمعت هذه الأرض المباركة ميزات متعددة، فهي أرض النبوات، ومحراب داود ﷺ ، وعجائب سليمان ﷺ ومهد الرسالات، ومهجر أبي الأنبياء ﷺ ، ومنتهى مسرى النبي ﷺ ومبتدأ معراجه، وأرض الرباط، والطائفة المنصورة، ودار الخلافة في آخر الزمان، وخلافة المهدي، ومهبط المسيح ابن مريم ﷺ ، ومقتل الدجال، ونهاية يأجوج ومأجوج، وأرض النهايات والمحشر والمنشر.

**وقد ربط المولى عزّ وجلّ بين هاتين البقعتين العالميتين فقال سبحانه:**

**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}** [الإسراء:١].

فالمسجد الحرام هو منطلق رحلة الإسراء، وهو منطلق الدعوة العالمية لهداية البشرية، **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ}** [آل عمران:٩٦]، والمسجد الأقصى هو منتهى رحلة الإسراء ومبتدأ المعراج ومنتهاه، وهو منطلق البركة العالمية، **{بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء:٧١]، وهو مهبط خلافة آخر الزمان، الخلافة التي على منهاج النبوة، التي بدأت في المدينة المنورة وستنتهي في بيت المقدس بإذن الله تعالى[١].

---

[١] راجع كتابي "الخلافة المقدسية".

كما ربط النبي ﷺ بينهما في انتقال عمود الإسلام، قال ﷺ: (**بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**). رواه الإمام أحمد.

قال ابن حجر في الفتح: "وأشهر طرقه ما أخرجه يعقوب بن سفيان والطبراني وصححه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وذكر الحديث السابق، وفي رواية: (**فإذا وقعت الفتن فالأمن بالشام**)، ...وأخرج أحمد ويعقوب بن سفيان والطبراني أيضاً عن أبي الدرداء رفعه: (**بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام**) الحديث وسنده صحيح. وأخرج يعقوب والطبراني أيضاً عن أبي أمامة نحوه وقال: (**انتزع من تحت وسادتي**)، وزاد بعد قوله بصري (**فإذا هو نور ساطع حتى ظننت أنه قد هوي به فعمد به إلى الشام، وإني أولت أن الفتن إذا وقعت أن الأمان بالشام**) وسنده ضعيف. وأخرج الطبراني أيضاً بسند حسن عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: "**رأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لواء تحمله الملائكة فقلت ما تحملون قالوا عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام، قال وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت وسادتي فظننت أن الله تخلى عن أهل الأرض فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع حتى وضع بالشام**".

إلى أن يقول: " ...وإنما ترجم بعمود الفسطاط ولفظ الخبر: "في عمود الكتاب" إشارة إلى أن من رأى عمود الفسطاط في منامه فإنه يعبر بنحو ما وقع في الخبر المذكور، وهو قول العلماء بالتعبير قالوا: **من رأى في منامه عموداً فإنه يعبر بالدين أو برجل يعتمد عليه فيه**، وفسروا العمود **بالدين والسلطان**، وأما الفسطاط فقالوا من رأى أنه ضرب عليه فسطاط فإنه ينال سلطانا بقدره أو يخاصم ملكا فيظفر به"[1].

وقوله: "وفسروا العمود بالدين والسلطان" فهل يكون تأويل انتقال العمود من تحت وسادة النبي صلى الله عليه وسلم، أن المهدي والذي هو من نسل النبي صلى الله عليه وسلم من فاطمة رضوان الله عليها، هو العمود الذي انتقل إلى الشام، لتكون آخر خلافة وسلطان على منهاج النبوة في بيت المقدس؟

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الخلاصة: إن الإسلام دين عالمي لكل البشر، بدأ نوره يسطع من مكة المكرمة وامتدّ شعاعه ليصل إلى بيت المقدس لتكون عالمية الانطلاق مع عالمية الانتهاء.

## رابعاً: عالمية الوسائل:

فقد كانت سفينة نوح صلى الله عليه وسلم وسيلة النجاة الوحيدة من الغرق في زمنه، وهي رمز لاتباع نبي الزمان المرسل وقتئذ، لذا بما أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن اتباعه هو النجاة من الغرق في المعاصي والفتن والمحن والخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

**{فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [العنكبوت:١٥]

قال ابن كثير: (وقوله: **{وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}** أي: وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها كما قال قتادة: إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم من الطوفان، كما قال تعالى: **{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ. إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}** يس: (٤١ – ٤٤)، وقال تعالى: **{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}** (الحاقة:١١-١٢)، وقال هاهنا: **{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}**، وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس، كقوله تعالى: **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}** (الملك:٥)، أي: وجعلنا من نوعها ما تُرجم بها الشياطين، فإن التي يرمى بها ليست هي التي زينة للسماء. وقال تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}** المؤمنون:١٢ -١٣، ولهذا نظائر كثيرة. وقال ابن جرير: لو قيل: إن الضمير في قوله: (وجعلناها)، عائد إلى العقوبة، لكان وجهاً، والله أعلم.

قال تعالى: **{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيم}** [هود:٤٨]

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عما قيل لنوح صلى الله عليه وسلم، حين أرست السفينة على الجودي، من السلام عليه، وعلى من معه من المؤمنين، وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة، كما قال

محمد بن كعب: دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة).

### سفينة النجاة في الأمة:

مثلما كان لسيدنا نوح عليه السلام سفينة نجاة لأهل زمنه، فإن آل البيت هم سفينة النجاة لهذه الأمة، قال ﷺ: (**مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل، ومن قاتلنا في آخر الزمان كان كمن قاتل مع الدجال**)[١].

وهذا حديث من الأهمية بمكان، ففيه ردٌ على من يقول بأن أمر تفضيل قريش على العرب في الخلافة أو حصر الخلافة فيهم هو أمر اختصت به القرون الأولى فقط، وليس عنده دليل على تخصيصه هذا، وبما أن كتابنا عن المهدي، فهو أيضاً يعتبر سفينة النجاة في آخر الزمان، والرابط بين سفينة النجاة في زمن سيدنا نوح ﷺ والمهدي بوصفه سفينة للنجاة، أن النجاة من أول الزمان إلى آخره هي ما اختاره الله سبحانه وتعالى لخلقه في كل زمان ومكان أن يكون سفينة نجاة، وسنتحدث في فصل قادم من هذا الكتاب عن تخلي المسلمين عن وصية نبيهم ﷺ في أهل بيته.

## خامساً: عالمية الدين (الإسلام):

حين بدأ دخول الناس في الإسلام فرادى ثم جماعات إلى أن كانت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وتأسيس أول دولة إسلامية، بدأت الدعوة العالمية للتعريف والإعلان عن هذا الدين العظيم، ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم المبعوث للعالمين، وبكتابه العظيم المهيمن على ما قبله من الكتب.

فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال الرسل إلى ملوك العالم، إلى هرقل عظيم الروم، وكسرى عظيم الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، والحارث بن أبي شمر الغساني في دمشق، والمنذر بن ساوى ملك البحرين، وإلى يهود خيبر، وإلى أساقفة نجرن، وغيرهم.

---

١ رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يروه، ورواه ابن عدي وقال أرجو أن يكون مستقيما، وحسنه السخاوي، وحسنه الهيتمي في الصواعق المحرقة ج٢، وقال الحافظ في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: يمكن أن يرتقي بمجموع هذه الطرق إلى درجة الحسن لغيره وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري وأنس وابن الزبير ... وجملة القول أن حديث أبي ذر حسن بطرقه. والله أعلم.

وهذه البداية العالمية للدعوة الإسلامية، لا نشك أبداً في أنها ستصل إلى جميع أطراف العالم، كما قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون} [التوبة:٣٣]**

قال الإمام ابن كثير: "أي على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**).

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها، وإن عمالها في النار، إلا من اتقى الله وأدى الأمانة**)[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية**)[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى. فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) إلى قوله: (ولو كره المشركون) أن ذلك تام، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل ثم يبعث الله ريحاً طيبة [فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان] فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**)[٣].

وكما بدأ الإسلام عالمياً، فإنه سيكون في آخر الزمان هو الدين الأوحد الذي لا منافس له، فيدخل فيه أهل الكتاب والفرس والروم وأهل الهند والسند والترك، وسيأتي تفصيل ذلك بعون الله في الفصل الثالث.

---

[١] رواه الإمام أحمد.

[٢] رواه الإمام أحمد.

[٣] رواه مسلم.

فالإسلام إذاً دين سماوي عظيم، وليس مبدأً أو فكرة من نتاج بشري، فالمبادئ الوضعية البشرية والتي يصفها أتباعها بالعالمية، ما هي إلا مدة زمنية، قصرت أو طالت، وستزول ويزول أثرها وأتباعها، وإذا أردنا استدعاء الأمثلة على ذلك حتى لا يكون الكلام على عواهنه، فالأمثلة أكثر من أن تُذكر، ومنها على سبيل المثال: مبدأ الماركسية، الذي سقط عام ١٩٩١ بسقوط الاتحاد السوفييتي السابق، يقول د. محمد عمارة:

"كان سقوط المنظومة الماركسية وأحزابها الشيوعية ومعسكرها الاشتراكي سنة ١٩٩١م، انتصاراً للإيمان الديني، وهزيمة لأعظم التحديات المادية والدهرية والإلحادية التي واجهت الإيمان الديني عبر تاريخ هذا الإيمان.. ذلك أن المنظومة الماركسية وأحزابها قد جعلت الإلحاد رسالة تدعمها وتنشرها حكومات تحكمت في أمم وشعوب وطبقات ومؤسسات فكرية وتعليمية مثّلَت ثقلاً عريضاً على امتداد سنوات القرن العشرين، فلقد حكمت ثلث البشرية وامتدت بفلسفتها الإلحادية عبر الأحزاب الشيوعية التي انتشرت في كل الأقطار والقارات، لذلك فرح المؤمنون بنصر الله عندما حدث هذا السقوط"[١].

الخلاصة.. بما أن سيدنا محمد ﷺ مرسل إلى العالمين، والكتاب الذي أُنزل عليه كتاب عالمي للبشر كلهم ، وفيه المنهج المتكامل الذي فيه خيرا الدنيا والآخرة، وفيه ما يصلح حال البشر في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية، فإن الله تعالى سيختم هذه الحياة الدنيا برجل عالمي المنهج والسلوك، وسيحكم بهذا الكتاب العالمي، لكي يثبت للجميع بأنه هو المنهج الصحيح الصالح لكل زمان ومكان، والذي ليس فيه نقص ولا خطأ، بل ويحترم العقل البشري الذي هو مناط التكليف والتفكير والتدبر، كهامش من الاختيار لأهل العلم ليتدبروا أمرهم وفق قواعد هذا المنهج العالمي.

---

[١] بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية/ ص٥.

# الفصل الثاني

# عالمية المهدي

## ماذا نريد من هذا الفصل؟

- قال ابن خلدون معبّراً عن عقيدة المسلمين بظهور المهدى: (اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار: أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي).

- وقال الفيلسوف الانجليزي الشهير برتراند راسل: (إنّ العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَمٍ واحد وشعار واحد).

- وقال آينشتاين صاحب (النظرية النسبية): (إنّ اليوم الذي يسود العالم كلّه الصلح والصفاء، ويكون الناس متحابِّين متآخين ليس ببعيد).

هذه هي فطرة الناس جميعاً، فإنهم يتطلعون دوماً إلى من يقود سفينتهم من برّ الفوضى والظلم والجهل، إلى برّ الأمان والعدل والعلم، يبحثون عن حاكم عدل مسدد، يخشى الله فيهم ويكون قوياً أميناً صادقاً، على منهج سيد البر ﷺ الصادق الأمين القوي.

فكانت تكرمة الله تعالى لهذه الأمة الخاتمة أن يختصها الله تعالى برجل من نسل سيد البشر وأعدلهم واتقاهم وأعلمهم ﷺ، ليقود هذه الأمة في آخر الزمان على خُطا جده ﷺ.

لذا، فإن الناس يتطلعون إلى معرفة صفات وزمان ومكان هذا القائد المسدد، لعلهم يدركونه فيبايعونه، ومن هنا جاء هذا الكتاب وهذا الفصل.

## المهدي لغةً واصطلاحاً:

### المهديّ في اللغة:

اسم مفعول من (هُدِيَ)، وجاء في لسان العرب: (المهديّ: الذي قد هداه الله إلى الحق، والمرشد إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان، ويريد بالخلفاء المهديين: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم، وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم. وقد تَهَدَّى إلى الشيء واهْتَدَى).

فالذي هداه الله هو مهديّ، وهذا لغةً،

### وفي الاصطلاح:

المهديّ هو الذي سيبعثه الله في آخر الزمان، فيصلحه في ليلة، وقد أصبح "الهدى" لقباً له يُعرف به عند قولنا: "المهديّ"، وهو محمد بن عبد الله الحسني، الذي نحن في صدد الحديث عنه.

### اسمه ونسبه وصفاته الخَلْقية:

ومما صحّ فيه من الأحاديث عن صفاته الخلْقية، والتي أيضاً جاء فيها التصريح بلقب المهديّ:

### أولاً– أنه من آل البيت:

قال ﷺ: (**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**)[1].

أي ييسر الله تعالى له الصلاح ليكون خليفة للمسلمين يقودهم إلى الخير ويخرجهم من الجور والظلم والجهل إلى العدل والنور والعلم.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه، والبخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي شيبة في مصنفه، وأبو يعلى في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، رمز له الإمام السيوطي بالحسن في فيض القدير، وصححه أحمد شاكر في شرح مسند أحمد (٥٨/٢) رقم: ٦٤٥.

وقال ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي – أو من أهل بيتي – يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً**)[1].

وقال ﷺ: (**المهديّ من عترتي من ولد فاطمة رضي الله عنها**)[2].

**ثانياً– اسمه:**

قال ﷺ: (**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني – أو من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**) وفي رواية الترمذي: (**لا تذهب – أو لا تنقضي – الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**)[3].

إذاً اسمه: محمد بن عبد الله، ولقبه: المهديّ.

وفي رواية عند الإمام أبي عمرو الداني في "سنن الفتن" فيه زيادة: قال ما يواطئ؟ قال: يشبه.

وأيضاً روى كلٌ من الطبراني في المعجم الكبير وابن عدي في "الكامل" وأبو نعيم في "الحلية" والدارقطني وغيرهم، استخدم كلمة "يوافق" بدلاً عن "يواطئ"، وفي رواية عند الداني أيضاً قال: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض عدلاً.. .

---

[1] رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في الحلية، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[2] رواه أبو داود في سننه وسكت عنه، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك، والبخاري في التاريخ الكبير، والطبراني في المعجم الكبير، وابن عدي في الكامل، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة، وقال العزيزي في السراج المنير بشرح الجامع الصغير: إسناده حسن.

[3] رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال صاحب تحفة الأحوذي: "وأخرجه أبو داود وسكت عنه هو والمنذري وابن القيم، وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة، إذ عاصم إمام من أئمة المسلمين انتهى. قلت: وعاصم هذا هو ابن أبي النجود، واسم أبي النجود بهدلة أحد القراء السبعة، قال الحافظ في التقريب عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود بنون وجيم الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام، حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون من السادسة". انتهى.

والقصد حتى نغلق الباب على من بات يدلس على الناس فيزعم بأنه المهدي مع أن اسمه ليس محمداً ولا اسم أبيه عبد الله، ولكنه يتلاعب في معاني لفظ "يواطئ" ليوحي للناس بأن المراد اسم آخر غير محمد بن عبدالله.

## ثالثاً – صفاته:

قال ﷺ: (**المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين**)[١].

(أجلى الجبهة): الخفيف شعر النزعتين من الصدغين، والذي أحسر الشعر عن جبهته، (أقنى الأنف): القنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته[٢].

## رابعاً– حسني أم حسيني؟

قال سيدنا عليّ ونظر إلى ابنه الحسن رضي الله عنهما: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ﷺ يشبهه في الخَلْق ولا يشبهه في الخُلُق"[٣]. لأنه ﷺ خلقه القرآن ولا شبيه لخُلُقه الكامل. وجاء ضبطه عند أبي دواد كما قال في عون المعبود: "يُشْبِهُهُ فِي الْخُلُقِ" بِضَمِّ الْخَاءِ وَاللَّامِ وَتُسَكَّنُ "وَلَا يُشْبِهُهُ فِي الْخَلْقِ" بِفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ، أَيْ يُشْبِهُهُ فِي السِّيرَةِ وَلَا يُشْبِهُهُ فِي الصُّورَةِ. ولكن رأى بعض العلماء بأن الأصح هو أنه يشبهه الخلْق ومنهم الإمام العلامة أحمد شهاب الدين الرَّملي ثم الدِّمَشقي الشافعي، وذكره ف قصيدته التي ذكر فيها من يشبه النبي ﷺ فقال:

والسيدُ المهدِي الَّذي سيَظهرُ        قُبَيل عيسى وبهِ يُبشَّرُ

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه، وقال ابن القيم في المنار المنيف: رواه أبو داود بإسناد جيد، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وعلق عليه الذهبي: فيه عمران ضعيف ولم يخرج له مسلم، ونعيم بن حماد في الفتن، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة.

[٢] الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، ص١٧٩.

[٣] رواه أبو داود والترمذي، وقال المنذري في تحفة الأحوذي: قال المنذري: هذا منقطع، أبو إسحاق السبيعي رأى علياً عليه السلام رؤية.

وعن الأعمش عن أبي وائل قال: نظر علي إلى الحسن فقال: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر بما هو كائن ثم قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي، يواطئ اسمه اسمي. فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله من أي ولدك هو؟ قال: هو من هذا، وضرب بيده على الحسين رضي الله عنه"[2].

فالواقع أن القولين ضعيفان، قال الإمام البرزنجي: "ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة: أنه من ولد فاطمة عليها السلام، وجاء في بعضها: أنه من ولد العباس رضي الله عنه، ثم اختلفت الروايات في ولدي فاطمة رضي الله عنهم، ففي بعضها: أنه من أولاد الحسن، وفي بعضها: أنه من أولاد الحسين، ووجه الجمع بينهما أن ولادته العظمى من الحسين أو من الحسن، وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أمهاته، وكذلك للعباس فيه ولادة أيضاً"[3].

إذاً المهدي من عترة النبي ﷺ، من ولد فاطمة رضوان الله عليها، يكون زمانه بعد انتشار الظلم وتفشي الجور، في آخر الزمان، فيبعثه الله مجاهداً وخليفة، ينشر العدل، ويكون مبعثه قبيل نزول المسيح ﷺ، وهو يشبه النبي ﷺ في خَلْقه، وعلى الأرجح أنه حسني، والله أعلم.

وسنذكر تفصيل ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

---

[1] ذكره السيوطي في العرف الوردي وقال: أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

[2] أخرجه أبو نعيم في "صفة المهدي"، وكره السيوطي في الحاوي، وابن القيم في المنار المنيف ولم يذكرا قول سلمان، وقال ابن القيم: ولكن هذا إسناد ضعيف، في سنده العباس بن بكار الضبي، قال الذهبي: قال الدارقطني: كذاب، وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير.

[3] الإشاعة، ص ١٧٨.

## مسألة الانتظار:

هل يوجد في الإسلام ما يسمى بالمهدي المنتَظَر؟ ومن أين جاءت لفظة: " المنتَظَر"؟ وما مدى صحتها عقدياً؟ وهل يوجد فعلاً في ديننا العظيم: عقيدة الانتظار؟

لاشك أن كثيراً من المسلمين يقولون في كلامهم: "المهدي المنتَظَر"، وربما لا يعرفون أصلها، نعم نحن لا ننكر أن لفظ "المهديّ" قد ورد في أحاديثَ كثيرةٍ، ولكنّ لفظ "المنتَظَر" لم ترد في أي حديث قط.

وهي قد دخلت على المسلمين من تراث ومرويات الشيعة، فهم يعتقدون أن المهدي الذي دخل السرداب ولم يخرج منذ مئات السنين لابد من انتظاره، بل إن انتظاره عبادة وقربة إلى الله تعالى، وسنتحدث إن شاء الله عن مسألتين:

**الأولى**: من أين جاءت كلمة "المنتظر"؟ ولماذا نردد ما لا نعرف مصدره ولا أصله؟

**الثانية**: من هو هذا الشخص المنتَظَر؟ وهل هو المهدي الذي نؤمن به فعلاً؟ وبالتالي سنلاحظ مدى تأثرٍ كثيرٍ من المسلمين السنّة بتراث وعقيدة الشيعة والفرس الذين يزعمون أنهم على مذهب آل البيت، من غير أن يشعروا بذلك، وهذا سببه الغفلة والتقليد.

أما مسألة الانتظار فهي عقيدة الشيعة المبنية على نصوص مذكورة في مراجعهم المعتمدة في كتبهم، ومنها:

**أولاً**– جاء في بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمؤلفه الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى بها سنة ١١١٠ هجرية: عن جعفر الصادق قال: مَنْ مَاتَ مُنْتَظِراً لِهَذَا الْأَمْرِ كَانَ كَمَنْ كَانَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ، لَا بَلْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الضَّارِبِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالسَّيْفِ.

انظروا إلى المبالغة والتهويل: أي أن مجرد أن تنتظر خروج المسردب من سردابه ثم لو متّ على هذا الاعتقاد، فلك من الأجر كما لو أنك كنت معه في جهاده حين يخرج، ليس هذا فحسب، بل لك أجر من جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في عهده، انظروا كيف المبالغة في تعظيم الأمر!

**ثانياً**- جاء أيضاً في المصدر نفسه: بحار الأنوار، وفي كتاب "كمال الدين وتمام النعمة" لمحمد بن علي بن بابويه القمّي، المعروف عند الشيعة بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، وهو من أهم مراجع الشيعة، وفيه: قَالَ أمير المؤمنين علي عليه السَّلام (وطبعا سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه بريء مما ينسبونه إليه) قال: الْآخِذُ بِأَمْرِنَا مَعَنَا غَداً فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، وَالْمُنْتَظِرُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ لله.

يعني: أجر المنتظر لخروج المسردب من سردابه كالمتشحط بدمه. أي: كمن تلطخ بدمه وتمرغ فيه، فإن له أجر شهيد، فبمجرد الاعتقاد بأن الواجب عليك أن تنتظر خروج المسردب حتى يخرج، ثم متَّ على ذلك ميتةً طبيعية فأنت شهيد، وعلى هذا الأساس فكل الشيعة شهداء، لأنهم كلهم ينتظرون خروجه لينقذهم من الحروب والفقر والظلم.

فبرغم كل ما مرّ عليهم في تاريخهم على مدى عشرة قرون من المعاناة والفقر، جراء عقيدتهم التي لطالما تسببت لهم في حروب ضد المسلمين، كونهم يؤمنون بأن المسلمين متورطين في دم الحسين رضي الله عنه، وأن عليهم أخذ الثأر له من المسلمين جميعهم كما يزعمون ويعملون.

فمع كل هذا الانتظار على مدار هذه القرون من السنين ولم يخرج لهم من سردابه لينقذهم، إلا أنهم ما زالوا ينتظرون خروجه متأملين أن يخرج يوماً ما.

**ثالثاً**- جاء في كتاب "الاختصاص" لمؤلفه: الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفي عام هـ ، وهو أيضا من كبار مراجعهم، ويروي فيه: أن رجلاً (مجهول) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (يعني سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه) أيما أفضل: نحن أو أصحاب القائم عليه السلام؟ (لاحظوا.. حتى كلمة عليه السلام جاءتنا من عندهم.. فنحن لا نقولها إلا للأنبياء والرسل.. والمهدي ليس نبياً ولا رسولاً بل هو قائدٌ مسددٌ وخليفةٌ صالح)[1]

---

١ في المذهب الشافعي منع الإمام أبو محمد الجويني أن يقال فلان عليه السلام. وقال النووي رحمه الله في "الأذكار": قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، كما أن قولنا: عز وجل ، مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: محمد عز وجل - وإن كان عزيزاً جليلاً - لا يقال: أبو بكر أو علي صلى الله عليه وسلم، وإن كان معناه صحيحاً. وأما السلام ، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا : هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، فلا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: علي عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء

قال: فقال لي: أنتم أفضل من أصحاب القائم، وذلك أنكم تمسون وتصبحون خائفين على إمامكم وعلى أنفسكم من أئمة الجور، إن صليتم فصلاتكم في تقية، وإن صمتم فصيامكم في تقية، وإن حججتم فحجكم في تقية، وإن شهدتم لم تقبل شهادتكم، وعد أشياء من نحو هذا مثل هذه فقلت: فما نتمنى القائم عليه السلام إذا كان على هذا؟ قال فقال لي: سبحان الله أما تحب أن يظهر العدل وتأمن السبل وينصف المظلوم؟

أي أن الحكمة من الانتظار هي أن تحب ظهور العدل وإنصاف المظلوم وانتشار الأمن والأمان، ولاشك أننا كلنا نحب هذا، ولكن الفرق أن ديننا يأمرنا بالعمل على ذلك وليس مجرد التمني وانتظار من يخرج من السرداب ليقوم بهذا، ديننا دين عملي، دين عمل وجهاد، وليس دين تمنٍّ وأحلام.

**رابعاً**- ومما جاء في مصادرهم أيضاً، ما جاء في كتاب الغيبة، وهو ربما يكون أقدم كتاب عندهم عن المهدي، من تأليف محمّد بن إبراهيم بن جعفر النُعماني وهو أيضاً من أهم مراجع الشيعة توفي عام ٣٦٠ هـ ، وفيه:

روى في كتابه عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلا به؟ فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا والبراءة من أعدائنا (يعني الأئمة خاصة والتسليم لهم)، والورع والاجتهاد[١] قال: والولاية لنا والبراءة من أعدائنا، والورع والاجتهاد والطمأنينة، قال: والانتظار للقائم عليه السلام، ثم قال: إن لنا دولة يجئ الله بها إذا شاء، ثم قال: من سره أن يكون من أصحاب القائم: فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن

---

والأموات" انتهى مختصراً . وقال ابن كثير رحمه الله : "وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يُفرد علي رضي الله عنه بأن يقال "عليه السلام" من دون سائر الصحابة أو "كرم الله وجهه"، وهذا وإن كان معناه صحيحاً، لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، والشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم" انتهى من" تفسير ابن كثير " ( ٣ / ٥١٧).

[١] (لاحظوا: وهذا أيضا مما يتشابه به الروافض والخوارج، فعندهم باب الاجتهاد مفتوح لكل من هب ودب، أي شخص قرأ كتابين أصبح عندهم مجتهداً مطلقاً يحق له الإفتاء، تجدهم يدخلون في أحد المعاهد الشرعية دورة دراسية لشهرين مثلاً فيخرجون ليناطحوا الأئمة المجتهدين أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد)

مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة.

والحقيقة أن أكثرهم ينتظرون من غير محاسن الأخلاق والورع، لكن لاحظوا المبالغة في الأجر، قال: من مات على عقيدة الانتظار كان له مثل أجر من جاهد معه، وهذا الكلام فيه تضليل كبير، هل تعلمون لماذا؟ لأن ليس كل من سيجاهد مع المهدي أصلاً هو من أهل الصلاح والجنة، بل فيهم من هم من أشد أهل النار عذاباً، الذين لا يتوب الله عليهم، كما روى الإمام مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال: **لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة** (يعني إما مدينة حلب لأنها الأقرب لأرض المعركة، أو مدينة دمشق لأنها فسطاط المهدي وقتها ومقر قيادته العسكرية) **قال: من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم،** (الآن لاحظوا ما مصير هذا الجيش الذي يقاتل مع المهدي) **فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية**. .. إلى آخر الحديث.

فأنت أيها المنتظر ما أدراك من أي ثلث ستكون؟ وهل تدرك مدى خطورة أن تكون مع هذا الثلث الذي لا يتوب الله عليهم أبداً؟ لأن الفرار من أرض المعركة من الكبائر – والعياذ بالله – وهناك روايات كثيرة عندهم في مزايدات أكثر، ومنها:

**خامساً**- ما جاء في كتاب "المحاسن" أو "محاسن البرقي" لأبي جعفر، أحمد بن محمد بن خالد البرقي. وهو أيضا أحد كبار مراجع الشيعة توفي عام ٢٧٤ وقيل ٢٨٠ هـ ، روى فيه عن العلاء بن سيابة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من مات منكم على أمرنا هذا فهو بمنزلة من ضرب فسطاطه إلى رواق القائم عليه السلام، بل بمنزلة من يضرب معه بسيفه، بل بمنزلة من استشهد معه، بل بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

يعني الأجر عندهم في مزاد علني لا يحمل رائحة المنطق التشريعي وورود الأدلة المعروفة، إذ كيف يكون منزلة مجرد الانتظار كمنزلة الصحابة الكرام؟ بل كمنزلة الشهداء من الصحابة الكرام؟ أليس للصحابة درجة الصحبة والجهاد مع النبي ﷺ؟ فأي بهتان هذا وأي تزوير؟!

وهناك روايات كثيرة تدور حول هذه المعاني التي ذكرناها سابقاً، لن أوردها خشية الملل والإطالة، وحول انتظار من سيخرج من سرداب سامراء، وهل يوجد أحد أصلاً في سرداب سامراء؟ بل هل من المنطق أن يدخل طفلٌ رضيعٌ في سردابٍ ويبقى حياً قرابة الألف عام بِلا أمٍّ ولا أيّ نوع من أنواع الرعاية الطبية والطبيعية والغذاء والماء والتنظيف!؟ وهو ليس نبياً ولا مرسلاً حتى يقال إنها معجزة لنبي مرسل.

## من هو صاحب شخصية المسردب؟

يقول الشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله في كتابه "عون المعبود في شرح سنن أبي داود" : زعمت الشيعة، خصوصاً الإمامية منهم، أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه ثم ابنه الحسن، ثم أخوه الحسين، ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد التقي، ثم ابنه علي النقي ثم ابنه الحسن العسكري، ثم ابنه محمد القائم المنتظر المهدي وزعموا أنه قد اختفى خوفاً من أعدائه وسيظهر فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيام حياته كعيسى والخضر، ولا شك في أن ما زعمت الشيعة من أن المهدي المبشر به في الأحاديث هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر وأنه مختف وسيظهر هي عقيدة باطلة لا دليل عليها".

وقال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري ابن علي الهادي ابن محمد الجواد ابن علي الرضى ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب، العلوي الحسيني. خاتمة الاثني عشر سيداً، الذين تدعي الإمامية عصمتهم – ولا عصمة إلا لنبي– ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب

السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت، حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً. فوددنا ذلك –والله– وهم في انتظاره من أربعمائة وسبعين سنة (هذا بالنسبة لزمن الإمام الذهبي طبعاً)، ومن أحالك على غائب لم ينصفك، فكيف بمن أحال على مستحيل؟! والإنصاف عزيز. فنعوذ بالله من الجهل والهوى". (يعني من أحالك على شيء مستحيل فهو يضحك عليك لذا قلت إن لتجار الدين تأثير الأفيون أحياناً) ثم قال: فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات عن غير عَقِب. (يعني أبوه مات ولم يخلف ولداً ولا بنتاً) قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه. وقيل: بل ولد له بعد موته، من أمة اسمها: نرجس، أو سوسن، والأظهر عندهم أنها صقيل، وادعت الحمل بعد سيدها، فأوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، فتعصب لها جماعة، وله آخرون، ثم انفش ذلك الحمل، وبطل، فأخذ ميراث الحسن أخوه جعفر، وأخ له. وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين... إلى أن قال:

وزادت فتنة الرافضة بصقيل وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، وجعلت في قصره إلى أن ماتت في دولة المقتدر. قلت: ويزعمون أن محمداً دخل سرداباً في بيت أبيه، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين. وقيل دون ذلك. قال ابن خلكان: وقيل بل دخل، وله سبع عشرة سنة، في سنة خمس وسبعين ومائتين، وقيل: بل في سنة خمس وستين، وأنه حي. نعوذ بالله من زوال العقل. قل فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟ هذا هوس بيّن، إن سلطناه على العقول ضلت وتحيرت، بل جوَّزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية".

وممن قال أيضاً إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة.

أما من مصادر الشيعة، قال النوبختي في "فرق الشيعة": "ولد الحسن بن علي (عليه السلام) في شهر ربيع الآخر اثنتين وثلاثين ومئتين وتوفي بسر من رأى يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ستين ومئتين ودفن في داره البيت الذي دفن فيه أبوه وهو ابن ثمان وعشرين سنة وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل وكانت إمامته خمس سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفي ولم يُرَ له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه وهي أم ولد يقال لها عسفان ثم سماها أبو الحسن حديثاً. فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة" ثم عدد هذه الفِرق كلها.

كذلك الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) في كتابه "الإرشاد"، له نفس الكلام السابق قال: ".. توفي ولم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه..).

وذكر هذا أيضاً كلٌ من الكليني في كتابه "الكافي"، والمجلسي في كتابه "بحار الأنوار"، وغيرهم.

والأعجب من هذا كله ، أنهم يقولون عن سبب عدم خروجه إلى الآن لكي يقود الأمة ويُنهي الظلم وينشر العدل، بأنه الخوف من أن يُقتل، فأي قائد هذا الذي يراد منه أن يكون قائداً وفارساً شجاعاً مقداماً والأمة تنتظره ثم هو جبانٌ يخشى القتل من قبل أن يخرج للدنيا أصلاً؟

ومن مراجعهم ممن ذكروا هذا ما أخرجه أبو جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي في كتاب "كمال الدين وتمام النعمة" عن زرارة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا زرارة لابد للقائم من غيبة، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه – وأومأ بيده إلى بطنه – قال زرارة: يعني القتل. وفي رواية: يخاف على نفسه الذبح. وكذلك أخرجه الكليني في الكافي والنعماني في الغيبة.

فهل يُعقل أن يخاف القائد المسدد لمدة ألف عام فلا يخرج حتى لا يُقتل؟ ما هذا الإمام الحجة الذي يخاف ألف عام ثم يريد أن يقاتل العالم؟ كيف لإمام أن يترك أمته للقتل والعذاب والضعف ألف عام ولا يخرج لينقذهم بل هو أخوفهم على نفسه؟

ثم من تناقضاتهم: كيف يقولون إنه يخاف على نفسه الذبح وهم يقولون بأن الإمام الحجة لا يموت حتى يأذن هو بذلك؟ خابوا وخسروا على هذه الأباطيل والأكاذيب، وهل يملك الإنسان ساعة موته كائناً من كان؟

**الخلاصة..**

مالنا نحن المسلمين ولهذه الخرافات والمسميات، والتقليد الذي لا حكمة فيه، وليس له أصلاً أيّ أساس من الصحة؟ كل هذا من المبالغات والغلو والتطرف والتجهيل مما دخل على الإسلام في تعظيم الأشخاص.

المهدي قائد صالح وخليفة عادل يختم الله به هذه الأمة إكراماً لها، واختاره الله تعالى من نسل نبي هذه الأمة ﷺ ليسلم الخلافة بعد ٧ أو ٨ أو ٩ سنوات للمسيح عليه السلام، فلا داعي للتهويل ولا للانتظار، فمن أدركه فإن رأى العلامة وهي خسف البيداء بجيش جاء ليقاتله، فعليه أن يبايعه ولو حبواً على الثلج وينصره، وهذا في آخر الزمان والناس يومئذ قليل وجُلّهُم في بيت المقدس، وأما من لم يدركه فعليه العمل والاجتهاد في طلب العلم والفهم كابراً عن كابر، مع إنكار المنكر ولو في قلبه بحسب مكانه ومكانته وقدرته.

# شخصية المهدي بين الإنكار والإثبات

ينكر البعض وجود شخصية المهدي، ويبالغ في الإنكار من باب ما يسميه المنطق عنده هو، وليس من باب أن أحاديثه ضعيفة، وقلّة قليلة من أنكر بسبب ضعف الأحاديث، وهناك من أنكر لمجرد التقليد للمستشرقين.

## أولاً– منكرو حقيقة (المهدي)، الأسباب، والرد عليها:

كان الحديث قديماً عن المهدي في كتب أهل السنّة، يدور حول دراسة أسانيد المتون، تصحيحاً و تحسيناً وتضعيفاً، ثم تأتي كتب الشروح لتبين معاني هذه الأحاديث، ولكننا اليوم في هذا الزمن المعاصر، بتنا نطالع كتباً انحرفت عن المنهج العلمي، أي (العلم من أجل العلم)، فقد بتنا نقرأ معاركَ تدور بين بعض المؤلفين والعلماء، في مصنفاتهم وكتبهم عن المهدي، ويكون سبب هذه المعارك نصرةً لمذهب أو فِرقة، أو اتباعاً للهوى وإعجاباً بالرأي، أو بسبب اختلاف العقول والأفهام وعدم القدرة على استيعاب المسألة، أو نتيجة لغلو البعض في وصف شخصية المهدي وإعطائها عصمة الأنبياء، أو تأثراً بما كتبه المستشرقون وروّجوا له.

وقد أخذت هذه الصراعات أبعاداً حادةً لدرجة أن بعضها قد ترك الحديث عن المهدي وصبّ جام غضبه في الهجوم على المخالف له مذهبياً أو بالرأي عموماً.

ولا شك أن نتيجة هذه المعارك وهذا الصراع الوهمي التعصبي، مزيداً من الحيرة عند كثير من عامة الناس، ممن يخفى عليهم حقيقة هذه الصراعات البغيضة وربما خلفياتها الأيديولوجية، والتي منها ما هو متقصد لإلهاء الأمة بمزيد من الصراعات الفكرية والعقدية، عن القيام بواجباتها ذات الأولويات الداعمة لنهوضها ووحدة صفّها.

فقديماً كان إنكار شخصية المهدي في إطار ضيق جداً ولا يعدو كونه لغاياتٍ حديثية بحتة، أي بسبب اجتهادهم في دراسة أسانيد أحاديث المهدي، فأوصلهم اجتهادهم إلى أنها ما

بين ضعيفة أو موضوعة، فلا يؤخذ منها حُكمٌ، ومن هؤلاء العلماء: الحافظ أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الجورقاني الهمذاني، (ت: ٥٤٣هـ)، في كتابه: (الأباطيل والمناكير، والصحاح والمشاهير)، والإمام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، في (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية).

ولكن اليوم أخذ الإنكار أسباباً مختلفة تماماً عن دراسة الأسانيد، فانتقل الإنكار من المنقول إلى المعقول، فصارت الأسباب تدور حول ما يعتبره المنكرون أنه من المنطق والمعقول، الذي ترضاه عقولهم وتستوعبه.

وبالنظر إلى أهم أسباب الإنكار، أو التقليل من أهمية الموضوع، والذي يلاحظ أن هناك عمليات ترويجية، متعمدة له بل وممولة أحياناً ، فإن من أهم هذه الأسباب التأثر بكتب المستشرقين ممن ولج هذا الموضوع في بدايات القرن الماضي، فقد كان للمستشرقين الدور الأول في التأثير على بعض الكُتّاب والعلماء المسلمين في مسائل متعددة، وتحت عناوين التنوير والحداثة، خاصة مع ظهور جيل الإرساليات في زمن محمد علي باشا، والذي تتلمذ على أيدي المستشرقين وأفكارهم، فنقلوها للمسلمين، ودرّسوها لطلابهم في الجامعات والكتب، بدليل أننا نجدهم يكررون ذات الشبهات التي ابتدعها هؤلاء المستشرقون، وبعضهم يتبرع بالإضافة من كيسه. فعلى سبيل المثال نجد جولد تسهير يقول:

(ومن يتأمل في عقيدة المهدي أو المخلص أو المنقذ، يجدها متوائمة مع الطبيعة الشرقية التي عانت الأمرّين من ظلمات الجهل والاستبداد، فمسيحيو الأحباش ينتظرون عودة مليكهم "تيودور" مهدياً ومنقذاً ومخلصاً في آخر الزمان، ويعتقد المغول أن "تيموجين" "جنكيز خان" الذي تقدم على ضريحه القرابين، كان قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصيني، وليس يغيب عن ذي لب أن بذور هذا المعتقد قد تسربت من قدامى المصريين، أعني الفراعنة الذين كانوا يؤمنون برجعة ملوكهم، وفي القديم من كتب الصينيين وعند

الفارسيين وكذلك في تناسخ "براهما" إحدى عقائد الهنود الذين ينتظرون عودة "فشنو" إلى الوجود)[1].

ملاحظ أن جولد تسيهر قد ساوى بين ألفاظ "المهدي" و "المخلص" و "المنقذ"، وهذا من التدليس بمكان، فقد ربط بين الأساطير الشعبوية مما يُشعر القارئ بأن شخصية المهدي تشبه تلك الشخصيات التي ذكرها والتي تنتظرها شعوبهم.

ويقول د. دوايت دونلدسن في كتابه عقيدة الشيعة: (إن من المحتمل جداً أن الإخفاق الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل والتساوي على زمن دولة الأمويين كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمان)[2].

**والرد على هذا التدليس من عدة محاور**:

**الأول** أن عقيدة المهدي في زمن الأمويين – وما بعدها – تؤكد أنها شخصية في آخر الزمان وليست في زمن الأمويين، فليس صحيحاً أنه يوجد من ينتظرها.

**والثاني** أنه يحاول تصوير الزمن الأموي على أنه زمن ظلم وجور، ليس فيه عدل أو مساواة، لدرجة أن الناس باتوا يحلمون بمخلص ينقذهم من الطواغيت، وطبعاً هذا الكلام لا يساوي عند المنصفين أي شيء، لأن الفتوحات الإسلامية وانتشار العلم والعدل في تلك المرحلة، لا يخفى على أحد ممن اشتمّ راحة العلم والتاريخ.

ويقول فان فلوتن: (ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره)[3].

---

[1] جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب المصرية ١٩٤٦، ص١٩٢.

[2] دونلدسن، عقيدة الشيعة، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٦، ص٢٣١.

[3] فولتن، السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أمية، ص١٣٢.

والرد على هذا الكلام المشابه لكلام زميله في الاستشراق، هو الرد نفسه مع إضافة مسألة في قمة البساطة ولا يختلف عليها اثنان، وهي أن أحاديث المهدي معروفة ومسجلة قبل عهد الخلافة العباسية، وبالتالي فكلامه عن أن الجور العباسي الذي يريد أن يصوره كما تملي عليه نواياه الزائغة لم يشكل أي سببٍ لظهور فكرة المهدي أو تمسك الناس بقضية المهدي، بل كان العلماء يعلمون أنهم ليسوا في زمن المهدي.

وبعيداً عن صراعات المتعصبين، وشبهات المستشرقين، ما يهمنا هو دراسة أهم الأفكار والشبهات التي أوردوها، من غير ذكر أصحاب هذه الشبهات، ثم الرد عليها وفق الثابت في دواوين أهل السنّة وكتبهم، وفي صدور أهل العلم الأثبات، من أهل القرون الأولى، ممن فارقوا الدنيا ونحسبهم أنهم لم يُفتتنوا أو يتعصبوا عموماً، وفي هذا الباب خصوصاً، عملاً بقوله ﷺ: **(سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم)**[1].

كما أن هذه الشبهات منها ما هو قديم مكرر، ومنها ما هو حديث معاصر، إما تبعاً للمستشرقين كما ذكرت آنفاً، أو تبعاً لما استجدّ من أفكار المتأثرين، ونلخص أهم هذه الشبهات في النقاط الآتية:

### ١– عدم ذكر البخاري ومسلم لأحاديث المهدي:

قالوا إن الإمام البخاري قد التزم في كل باب من أبواب العقائد بذكر حديث واحد على الأقل، وقد ذكر حديثاً في كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: **(كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)**، وعند الإمام مسلم: قال صلى الله عليه وسلم: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله**

[1] رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث ذكره مسلم في خطبة الكتاب مع الحكايات ولم يخرجاه في أبواب الكتاب، وهو صحيح على شرطهما جميعاً، ومحتاج إليه في الجرح والتعديل، ولا أعلم له علة.

**هذه الأمة)**. لذا قالوا: إن أحاديث المهدي في الصحيحين: (صحيحها غير صريح وصريحها غير صحيح).

**الرد:**

لو نظرنا في الحديثين السابقين سنلاحظ أن الذي جاء في حديث البخاري بأنه إمام المسلمين وقتئذ، هو نفسه الذي جاء في صحيح مسلم بأنه أمير المسلمين وقتها، ولفظ الإمام – كما هو معلوم – يحتمل معنى إمام الصلاة ومعنى إمام الأمة أي الخليفة، وكذلك لفظ "الأمير" كما كان يقال في الخلفاء: "أمير المؤمنين"، وبهذا نكون قد علمنا أن في الصحيحين أحاديث ذكرت شخصية "الإمام الأمير"، الذي في آخر الزمان وينزل المسيح صلى الله عليه وسلم في زمنه، لذا لم يبق لدينا إلا البحث عن هذا "الأمير الإمام" في أحاديث أخرى صحيحة تتحدث عن الموقف ذاته وتشير إلى أنه المهدي بصريح اللفظ.

قال ﷺ: **(منا الذي يصلي عيسى بن مريم ﷺ خلفه)**[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "المهدي منا، يدفعها إلى عيسى بن مريم ﷺ"[2]، وعن ابن سيرين رحمه الله قال: "المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم"[3]. كما أنه في رواية صحيحة قال ﷺ: **(ينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة)**[4]. فذكر صراحة أن أميرهم المهدي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فمعلوم عند المسلمين أن البخاري ومسلم لم يحصيا في كتابيهما جميع الأحاديث الصحيحة، بل يوجد أحاديث صحيحة كثيرة لم تُذكر في الصحيحين

---

[1] رواه أبو نعيم في كتاب المهدي.

[2] رواه نعيم في الفتن.

[3] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

[4] أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وأبو نعيم في أخبار المهدي كما ذكره السيوطي في العرف الوردي، وقال ابن القيم في المنار المنيف: هذا اسناد جيد.

**ملاحظة:** جميع التخريجات السابقة من كتاب: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، للدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي.

ولكنها موجودة في كتب الحديث الأخرى، كموطأ الإمام مالك وهو أقدم منهما زمنياً، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم، وكتب السنن لأبي داود والترمذي وابن ماجة والنسائي والبيهقي والدارقطني، وكذلك المسانيد كمسانيد الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وغيرها العديد من كتب الحديث التي تحتوي على أحاديث صحيحة لم يروها الشيخان.

قال الإمام الحاكم في المستدرك: "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رضي الله عنهما، صنّفا في صحيح الأخبار كتابين، مهذبين، انتشر ذكرهما في الأقطار، ولم يحكما ولا واحد منهما، أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه".

وقال الإمام ابن الصلاح في "مقدمته": "لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما، ولا التزما ذلك، فقد روينا عن البخاري أنه قال: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صحّ وتركت من الصحاح لملال الطول، وروينا عن مسلم أنه قال: إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه".

ولا أريد التوسع في الرد على هذه الشبهة لكيلا أطيل فأكرر ما ذكره العلماء والمحدثون في شرح ذلك، فمن أراد التوسع فليرجع إليها.

### ٢- رفض فكرة التجديد الاصطفائي للمهدي:

فقد قال بعض المعاصرين في قوله ﷺ: **(إن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)**[١]، إن هذا البعثَ بعثُ إيجادٍ وليس بعثَ اصطفاء، أي أن هؤلاء المجددين ليس لهم مواصفات خاصة كالعصمة مثلاً، وأن لفظ "من" في الحديث تفيد الجماعة وليس فرداً واحداً.

**الرد:**

الرد على هذا الكلام من أوجه: أولها: قوله تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}** [الحج:٧٥]

---

[١] رواه أبو داود والحاكم والطبراني في الأوسط.

والثاني: أن المهدي هو قائد مجاهد يصلحه الله تعالى في آخر الزمان، ويجعل على يديه الملاحم فينصره على أعداء الإسلام، وليس من الضروري أن يكون هذا القائد الفاتح نبياً، والتاريخ الإسلامي مليء بالقادة الفاتحين، و لا يعني هذا أن المهدي في زمنه وحيد ليس له أعوان، بل جاء في صحيح مسلم قال ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)**، فالحديث يصرح بأنه لايزال طائفة على الحق، وأن المهدي هو أميرهم، إذاً فالتجديد ليس مهمة المهدي بوصفه فرداً واحداً.

### ٣- فوضى ادعاء المهدوية على مرّ التاريخ:

فقالوا: إن آية ختم النبوة **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}** [الأحزاب:٤٠]، قد أغلقت على الكثير من الدجاجلة باب ادعاء النبوة، أما فكرة المهدوية فلم يُغلق ولذلك أدى الى وجود العديد ممن ادعوا أنهم المهدي.

**الرد:**

أقول: لقد ادعى العديد من الدجاجلة النبوة، على الرغم من وجود هذه الآية الكريمة، فلم يمنعهم وجودها من الافتراء والكذب، منذ مسيلمة الكذاب إلى اليوم، وكذلك ادعاء المهدوية، بل وظهر من ادعى أنه المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم، وهذا تحقيقاً لقوله تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون}** [العنكبوت:٢]، فهذا من باب فتنتهم بأنفسهم وفتنة الناس بهم وتصديقهم لهم واتباعهم على ضلالهم، قال صلى الله عليه وسلم: **(لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)**[١]، لذا جاءت أحاديث المهدي محددةً صفاته والعلامات التي تسبقه، حتى لا يُفتن الناس، لذا فليس هذا السبب داعياً لإنكار شخصية المهدي، فلا حجة بهذا القول الضعيف.

---

[١] رواه البخاري وغيره.

### ٤- عدم وجود ذكر المهدي في القرآن:

**الرد:**

والرد على هذه الشبهة من جانبين: الأول أن عدم ذكره في القرآن لا يستلزم عدم وجوده حقيقةً، فكم من شخصية مؤثرة في تاريخ الأمة لم يرد ذكرها في القرآن، والثاني أن القرآن الكريم قد أمرنا بالأخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وإن لم يأت ذكره في كتاب الله، قال تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** [الحشر:٧]، وقال: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينِ}** [التغابن:١٢]، وقد ثبتت صحة أحاديث المهدي كما أسلفت سابقاً.

### ٥- أليس القرآن هادياً إلى قيام الساعة فما الحاجة إلى المهديّ؟

قال البعض إنه كفى بالقرآن هادياً لكل زمان ومكان، فلا داعي لوجود شخصية المهدي لكي يكون هادياً للناس، ففي القرآن الكريم (قد تبين الرشد من الغي)، فماذا يبين المهدي والقرآن بيّنَ كل شيء؟

**الرد:**

الرد على هذا الكلام المتهافت، أنه لو لم يكن لإرسال البشر داعياً لهداية الناس فلِم أرسل الله الأنبياء والرسل هداة؟ ألا يكفي إنزال الكتب السماوية؟ ثم كيف ستكون الكتب قدوة عملية للإنسان؟ ثم إن المهدي رجل مجاهد يحمل السيف بيده ويخاطب الناس ويقودهم، فكيف للكتاب أن يفعل ذلك؟ ثم إنه لا تناقض – أصلاً – بين أن يكون هناك رجل مهدي من الله تعالى ويعمل بما في الكتاب من أمر ونهي، فالتساؤل أساساً ليس منطقياً بل هو من السفسطة.

### ٦- الإيمان بفكرة المهدي تخص أهل آخر الزمان وحدهم:

**الرد:**

ولا يمنع أن يتعلم المسلم ويعتقد بوجود المهدي، وإن غلب على ظنه أنه ليس في زمانه، أليس النبي ﷺ كان يحذر من الدجال وكأنه سيخرج في زمن الصحابة! ثم إن الإيمان به واجب من حيث الإيمان بكل ما ورد عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة وليس لكونه مزامناً أو غير مزامن.

### ٧- عدم القناعة بفكرة الملاحم وسيناريوهات نهاية الأرض والإنسانية:

**الرد:**

لا شك أبداً أن للحياة نهاية وزوالاً، ثم يموت الناس جميعاً، ثم يكون بعثهم وحشرهم وحسابهم، والآيات في ذلك كثيرة.

ويعتقد أهل الكتاب بنهايات مختلفة عما يعتقده المسلمون، فاليهود لهم معتقدهم، والنصارى لهم معتقدهم، وكل معتقد مبني على ما لديهم من نصوص يعتقدون بصحتها ويؤمنون بها.

أما عدم الإيمان بسيناريو يتعلق بالعلامات الكبرى ونزول المسيح عليه السلام وقبله ظهور المهدي وقيام الملحمة العظمى، ثم ظهور الدجال الذي يقتله المسيح عليه السلام، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، وما جاء من أحاديث فيها بعض التفاصيل لهذه المرحلة، فإن عدم الإيمان بكل هذه الأحاديث الصحيحة سيكون سببه خلل في عقيدة المنكر، لأن الغيبيات لا تحاكم بالعقل والمنطق والتصور، بل بالإيمان بها لأنها وردت في أحد الوحيين: القرآن الكريم والحديث الصحيح. وعندما تأتي أحاديث الغيب بما بتوافق مع كتاب الله تعالى، فمن واجب المسلم الإيمان بها والتصديق.

## ٨- فكرة المهديّ مأخوذة من أساطير أهل الكتاب والأمم الأخرى!

**والرد:**

الرد يكمن في وجود أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ صححها أهل العلم، فإن قيل: ولكن البعض الآخر ضعّفها، قلت: فالأحاديث الموقوفة مما صححها أهل العلم عن الصحابة الكرام، خاصة ممن لم يرووا عن الإسرائيليات، كثيرة جداً، ومن الصحابة الذين رووها مرفوعة:

(علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وثوبان، وأم سلمة، وأبو هريرة، وأنس، وجابر، وعثمان، وحذيفة، وابن الحرث الزبيدي، وجابر الصدفي، وأبو أيوب الأنصاري، وقرة المزني، وأم حبيبة، وعائشة، وأبي أمامة الباهلي، وابن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد المطلب، والحسين بن علي، وتميم الداري، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وطلحة بن عبيد الله، وعلي الهلالي، وعمران بن حصين، وعمرو بن مرة الجهني، وعوف بن مالك، وأبو الطفيل، ورجل من الصحابة، وقيس بن جابر عن أبيه عن جده، ومن مرسل سعيد بن المسيب، والحسن، وقتادة، وشهر بن حوشب، ومعمر، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)[١].

فهل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم، ممن تلقوا عن أهل الكتاب؟ كلا، بل هم ممن تلقوا علومهم من المدرسة النبوية المطهرة.

ثم نأتي إلى الأحاديث المقطوعة، فقد روى جمع من كبار التابعين آثاراً عن المهدي ولم يرفعوها، وقد صححها أهل العلم، ومنهم: ابن سيرين وقتادة وطاووس وإبراهيم ابن ميسرة وعلي بن عبد الله بن العباس وغيرهم.

والخلاصة، أنه لو تدبرنا جميع هذه المرويات، المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، لعرفنا أن هذا الأمر مما عُلم وشاعت معرفته والاعتقاد به، لدى أهل الصدر الأول من الإسلام، من غير أن ينسب ذلك إلى الإسرائيليات على لسان أحد منهم.

---

[١] ذكرهم الإمام أبي الفضل الغماري في "المهدي المنتظر" ص١١و١٢.

**١٠- فكرة المهدي تسبب التواكل**: وانتظار تحقق الغيب، وعدم العمل، وترك الجهاد والإصلاح، بانتظار من يأتي للإصلاح بالنيابة عن الأمة، وحصر مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشخصية واحدة لا يعلم أحد متى تظهر.

**الرد:**

بل معلوم أن المهدي سيكون أمير الطائفة التي تقاتل على الحق، كما في حديث صحيح مسلم: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**).

إذن فالانتظار ليس من سمات أهل الحق، بل هو الجهاد بكافة أشكاله، حتى يبعث الله المهدي في الوقت الذي يختاره الله تعالى والذي لا نعلم توقيته، لذا عقيدة المهدي الحقيقية لا تدعو إلى التكاسل والتواكل، بل لابد أن يقوم كل مسلم بدوره الذي اختاره له الله تعالى، فكل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام، ظهر المهدي في زمنه أم لم يظهر.

**١١- إنكار عودة المسيح ﷺ وبالتالي شخصية المهدي**: قالوا إن عقيدة عودة المسيح ﷺ هي عقيدة نصرانية، تأثر المسلمون بها وتفاعلوا معها، وأوّلوا الآيات التي تشير إلى عودة المسيح ﷺ، وأنكروا الأحاديث مع أنها في الصحيحين وغيرها.

**الرد:**

أولا: قال تعالى: **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا [١٥٧] بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [١٥٨] وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا [١٥٩]}** (النساء).

ثانيا: يقول العلماء بأن أحاديث نزول المسيح عليه السلام متواترة. وقد نقل الإمام المحدث الشيخ محمد الكشميري رحمه الله في كتابه: "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، ثم استدرك عليه الشيخ المحدث عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله وزاد عليه، وممن قال بتواتر الحديث الأئمة:

الإمام المفسر ابن عطية الغرناطي في تفسيره، والحافظ ابن كثير أيضاً في تفسيره، والإمام الشوكاني في كتابه "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح"، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله، وقال الإمام السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى: أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد الإجماع أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء.

**١٢- هل المهدي أفضل من النبي؟** قالوا إن مبعث النبي ﷺ استمر ثلاثةً وعشرين عاماً ولم ينتشر الإسلام في أرجاء الأرض ولم تمتلئ الأرض كلها عدلاً، فكيف سيكون ذلك في زمن المهدي مع أن مدة خلافته بين السبع والتسع سنوات ليس إلا؟

**الرد:** وهذه سفسطة لا معنى لها، بدليل أن الفتوحات الإسلامية التي كانت في زمن خلفاء النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه، أكبر بكثير من الفتوحات التي كانت في زمن النبي ﷺ، وكذلك الفتوحات في زمن الأمويين وغيرهم، فهل هذا فيه أي دلالة على أفضلية؟ بالطبع لا، بل هم خلفاء للنبي ﷺ الذي اكتمل الدين والتشريع ونزول الوحي في حياته قبل أن يختاره الرفيق الأعلى، فكانت مهمة خلفائه وكل من جاء بعدهم هو نشر هذا الدين العظيم وتبليغه إلى العالمين لأننا أمة مأمورة بذلك، وما المهدي إلا أحد هؤلاء القادة المأمورين بالتبليغ كذلك.

## ثانياً– مثبتو شخصية (المهدي)

**لاشك أن المهدي شخصية حقيقية، لا مجرد فكرة كما يزعم البعض،** وشتان بين عقيدة المهدي عند المسلمين والتي تعتمد على الأحاديث الصحيحة، وعقيدة المخلص التي تعتمد على الأساطير والخرافات التي عند الملل أو الشعوب والأمم الأخرى، والتي تعتمد على القصص الخيالية أو النصوص المحرّفة، فمعلوم أن أكثر ما يميز هذه الأمة هو الإسناد المتصل إلى نبيها ﷺ، وهو علم قائم بحد ذاته له قواعده العلمية والمنهجية الراسخة والثابتة، فالمسلمون يؤمنون بناء على هذا العلم المسند بصحة شخصية المهدي كشخصية ختامية في آخر الزمان، ولكننا نؤمن أن المخلص الحقيقي والوحيد، هو رسول الله ﷺ، الذي أرسله الله تعالى هادياً ومبشراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

وبما أننا أمة الإسناد، فلنعطِ الكلمة عن صحة هذه الأسانيد للمتخصصين في هذا العلم العظيم، ولا نلقي آذاننا إلى من يريدون جعل مقياس القبول والرفض هي عقولهم كائناً من كانوا، فشتان بين أن تكون عقول بعض البشر هي المقياس الذي نحكم من خلاله على النصوص والعقائد، وبين أن يكون المقياس والحاكم هي القواعد العلمية الرصينة والمتينة والتي أقرها أكابر العلماء على اختلاف بلدانهم وأزمانهم، ومع ذلك اتفقوا على هذه القواعد الراسخة. ومعلوم أن أحاديث المهدي قد ذكرتها كتب الحديث عند المسلمين، مثل بعض الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات والمستخرجات والأمالي وغيرها.

### ومن أدلة إثبات شخصية المهدي:

ما قاله الإمام الحافظ أبا الفضل عبد الله بن صديق الغماري في كتابه "المهدي المنتظر"، حيث ينقل لنا أقوال أئمة الحديث قائلاً: (.. أحاديث المهدي عليه السلام متفق على تواترها بين حفاظ الحديث ونقاده، فقد قال الحافظ أبو الحسين الآبري في "مناقب الشافعي رضي الله عنه" ما نصه: "تواترتِ الأخبار واستفاضتْ بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي، وأنَّه من

أهل بيته، وأنَّه يملأ الأرض عدلًا، وأنَّ عيسى ﷺ يخرُج فيساعده على قتل الدجَّال، وأنه يؤمُّ هذه الأمَّة، وعيسى ﷺ خلْفَه في طول من قصته وأمره".

ونقله القرطبي في "التذكرة"، والحافظ ابن حجر في "الفتح"، والحافظ السخاوي في "فتح المغيث"، والحافظ السيوطي في "العرف الوردي"، والمحدث الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني في "شرح المواهب"، وشارح الاكتفاء، وغيرهم وأقروه عليه.

وقال المحدث الناقد أبو العلاء السيد إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني في تأليف له في المهدي عليه السلام ما نصه: "أحاديث المهدي متواترة أو كادت، وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقاد".

وقال الشوكاني في تأليف له سماه "التوضيح في تواتُر ما جاء في المنتظر والدجَّال والمسيح" ما نصه: "والأحاديث الواردة في المهديِّ التي أمكن الوقوفُ عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح، والحسَن، والضعيف المنجبِر، وهي متواترةٌ بلا شكٍّ ولا شُبهة، بل يصدُق وصْف التواتر على ما دونها على جميعِ الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول. وأمَّا الآثار عن الصحابة المصرِّحة بالمهديِّ فهي كثيرةٌ أيضًا لها حُكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مِثلِ ذلك".

وقال المحدث أبو الطيب صدّيق بن حسن الحسيني البخاري الغنوجي ملك "بهوبال" في كتاب "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" ما نصه: " والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد. وقال أيضاً بعد كلام له ما نصه: "وأحاديث المهدي بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار".

وقال العلامة أبو عبد الله محمد جسوس في "شرح رسالة ابن أبي زيد" ما نصه: "ورد خبر المهدي في أحاديث ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر")[1].

[1] أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري، المهدي المنتظر، إصدار جمعية آل البيت للتراث والعلوم الإنسانية – فلسطين.

ثم ذكر الإمام الغماري أقوالاً لعددٍ من الأئمة والحفاظ ممن نصّ على تواتر أحاديث المهدي، ومنهم العلامة الشيخ محمد العربي الفاسي في "المراصد":

وما من الأشراط قد صح الخبر     به عن النبي حقٌ ينتظر

وخبر المهدي أيضاً وردا     ذا كثرة في نقله فاعتضدا

وقال السفاريني في عقيدته المسماة بـ "الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية":

وما أتى في النص من أشراط     فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح     محمد المهدي والمسيح

ثم قال في شرحها: "... وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم مما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة".

**ثم قال الإمام الغماري**: "ومما نص على تواتر حديث المهدي شيخ شيوخنا الإمام العلامة خاتمة المحدثين بفاس قطب الدين السيد محمد بن جعفر الكتاني إذ أورده في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" من طريق عشرين صحابياً، ونقل من نصوص العلماء نحو ما نقلناه آنفاً ثم قال ما نصّه: "وتتبع ابن خلدون في مقدمته طرق أحاديث خروجه مستوعباً لها بحسب وسعه، فلم تسلم له علة لكن ردوا عليه بأن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر، وهي عند أحمد والترمذي وأبي داود وابي ماجة والحاكم والطبراني وأبي يعلى والبزار وغيرهم، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة، فإنكارها مع ذلك مما لا ينبغي، والأحاديث يشد بعضها بعضاً، ويتقوى أمرها بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدي بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف".

ثم ذكر بعضاً ممن تصدّى للردّ على كلام ابن خلدون رحمه الله، فقال: "إذ تصدى لذلك شقيقنا العلامة المحدث السيد أحمد في كتاب خاص سماه "إبراز الوهم المكنون من كلام ابن

خلدون"، نقض فيه كل ما أبداه ابن خلدون من المطاعن، وتتبع كلامه جملة جملة بحيث لم يترك بعده لقائل مقالاً".

وقال صاحب عون المعبود: "وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم. وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدي كلها فلم يصب بل أخطأ".

وقال صاحب "تحفة الأحوذي": " الأحاديث الواردة في خروج الإمام المهدي كثيرة جداً، ولكن أكثرها ضعاف، ولا شك في أن حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه الترمذي في هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن، (يقصد حديث: **لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي** قال أبو عيسى: .. وهذا حديث حسن صحيح)، وله شواهد كثيرة من بين حسان وضعاف، فحديث عبد الله بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه **صالح للاحتجاج بلا مرية**، فالقول بخروج الإمام المهدي وظهوره هو القول الحق والصواب والله تعالى أعلم".

**الخلاصة:** فبعد هذه الأقوال من أئمة متخصصين في علومهم يثبتون بالأسانيد صحة وجود شخصية المهدي، فلا حجة للمنكرين، خاصة من غير المتخصصين في علوم الحديث، فهؤلاء لا يُعتدّ بكلامهم، ليس تقليلاً من شأنهم، بل كما قلت آنفاً بأن من أنكر بسبب عدم اقتناعه فإن قناعته ليس مقياساً، ومن أنكر لاجتهاده في تضعيف الأحاديث فردود الأكثرية كفيلة بإثبات صحة وجود الشخصية، والله أعلم.

## المهدي في البخاري ومسلم

من الأسئلة التي تُطرح دوماً: هل المهدي ذُكر في صحيحي البخاري ومسلم؟ فيجيب البعض بأن المهدي ليس مذكوراً في الصحيحين، إذاً هي شخصية غير صحيحة، فقالوا: إن أحاديثه صريحها غير صحيح وصحيحها غير صريح، وسوف نرد على هذه الجملة إن شاء الله.

والرد العلمي والمنهجي على هذه الأسئلة كما يلي:

**أولاً**- التخصص: كل العلوم لا تؤخذ إلا من أهل التخصص الثقات، وليس مِن كل من هبّ ودبّ، فمثلاً لا نأخذ تصحيح الأحاديث أصلاً من المستشرقين وأبواقهم من الكتّاب والصحفيين والإعلاميين، لأنهم ليسوا من أهل التخصص في علوم الحديث، وكيف ندع كلام علماء الأمة من المتخصصين في علوم الحديث وما أجمعوا عليه وبينوه وفصلوه، وإن وجد فيهم من خالفهم من القلة القليلة جداً؟

**ثانياً**- تعالوا نفهم اسم وغاية كتاب الإمام البخاري رحمه الله، اسم الكتاب هو: "الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمورِ رسولِ الله ﷺ وسُنَنِهِ وأيَّامِه".

إذاً من اسمه نفهم أن الغاية من الكتاب أن يكون كمفكرة مختصرة يستطيع حملها كل مسلم معه في متاعه خلال سفره، في ذلك الزمان، زمن الإمام البخاري حيث كان من الصعب حمل الكتب الكثيرة في الأسفار والتنقلات، فجاء هذا المختصر المسند الجامع ليكون رفيق الطريق ليرجع إليه المسافر كلما عرضت له حاجة ما، وكان هذا حين كان الناس أهل لغة وفهم، وكان قبل أن تظهر المذاهب الأربعة وينتشر الفقه بين الناس، لذا رأى الإمام البخاري رحمه الله أنه ليس من الضروري أن يذكر كل ما يحفظه عن المهدي لأنه ليس في ذلك حكم فقهي يحتاجه المسافر في تعبده، في الوضوء والصلاة والصيام مثلاً، بل يكفي الإشارة إلى أنه من خلال هذه الأحاديث التي صحّت عنده يكتفي المسلم بمعرفة ما جاء حول سيرة المهدي.

خاصة وأنه قد اختصره من حوالي ٦٠٠ ألف حديث، وجاءت الفكرة بعدما سمع البخاري شيخه ومعلِّمه أمير المؤمنين في الحديث إسحاق بن راهويه يقول: لو جمعتُم كتابًا مختصرًا لصحيح سُنَّة رسول الله ﷺ، قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي فأخذتُ في جمع الجامع الصَّحيح.

وقال البُخاريُّ رحِمه الله: (رأيتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليْه وسلَّم في المنام وكأنَّني واقفٌ بين يديْه، وبِيدي مروحةٌ أَذُبُّ بها عنه، فسألتُ بعض المعبِّرين، فقال لي: أنتَ تَذُبُّ عنه الكذِب، فهو الَّذي حَملني على إخراج الجامع الصَّحيح)، فجمعه في ( ١٦) سنة.

ولكن هل وضع فيه كل ما يحفظه من الصحيح؟ قال البخاريُّ: (ما أدخلتُ في كتابي "الجامع" إلَّا ما صحَّ، وتركتُ مِن الصَّحيح حتَّى لا يطول)، وقال: (لم أخرّج في هذا الكتاب إلَّا صحيحًا، وما تركتُ من الصَّحيح أكثر).

وكذلك كتاب صحيح الإمام مسلم، قال الإمام مسلم: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا – يعني في كتابه الصحيح – إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه.

فالخلاصة: كل ما في صحيحي البخاري ومسلم صحيحٌ، ولكن ليس كلّ الصحيح مقتصر على ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم.

قال الإمام ابن الصلاح في مقدمته: لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما ولا التزما ذلك.

وقال الامام النووي في مقدمته على شرح صحيح مسلم: لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح.

وقال الشَّيخ عبد الحقِ الهاشمي، المتوفَّى سنة (١٣٩٢) هـ، في كتابه: "قمر الأقمار الطَّالع من مشارق الأنوار" (ص٢٤)، كما جاء في مقدِّمة كتاب "عادات الإمام البخاري في صحيحه" للشَّيخ نفسه – شارحًا لهذه التَّسمية: "إنَّما سمَّاه جامعًا لأنَّه جمع فيه الفنون الثَّمانية: فنُّ الحديث، وفنُّ العقائد، وفنُّ الفِقْه، وفنُّ السِّيرة، وفنُّ الرِّقاق، وغيرها، وسمَّاه مسنَدًا لأنَّه أَورَد فيه الأحاديث المسندة إلى النَّبي صلَّى الله عليْه وسلَّم، وما أورد فيه عن الصَّحابة والتَّابعين ومَن بعدَهم، ومِن

المعلَّقات فإنَّما هو بالتَّبع، وسمَّاه صحيحًا لأنَّه أَورَد فيه ما صحَّ عندَه، وسمَّاه مختصرًا لأنَّه خرَّجه من ستِّمائة ألفِ حديثٍ واختصرَه منها...".

**الخلاصة**: من المفترض أن الكلام عن صحة أوضعف أحاديث المهدي ترجع إلى دراسة الأسانيد، ودراسة الأسانيد من تخصص علماء مصطلح الحديث، ولا عبرة أبداً في قول غيرهم.

لكن الحكم اليوم على مسألة صحة أحاديث المهدي وضعفها أصبح تابعاً إما لنصرة مذهب أو فِرقة، أو لاتّباع الهوى والإعجاب بالرأي، أو لاختلاف العقول والأفهام وعدم القدرة على استيعاب المسألة، أو نتيجة لغلو البعض في وصف شخصية المهدي وإعطائها عصمة الأنبياء، أو تأثراً بما كتبه المستشرقون وروّجوا له.... الخ.

نعم هناك قلة قليلة من أهل الحديث أوصلهم اجتهادُهم إلى أنها ما بين ضعيفة وموضوعة، ولكن الرد عليهم يأتي من جماهير العلماء من أهل التحقيق في الفقه والحديث الذين يؤكدون صحة عدد من أحاديث المهدي.

ولكن.. من أين ظهرت شبهة أن فكرة المهدي جاءت من أساطير الفراعنة والفرس وغيرهم؟

هذه إحدى طوام الانقياد والتقليد والانبهار بالمستشرقين، ممن خاض في هذا الموضوع في بدايات القرن الماضي، تحت عناوين مضلِّلة مثل التنوير والحداثة، خاصة مع ظهور جيل الإرساليات في زمن محمد علي باشا، والذي تتلمذ على أيدي المستشرقين وأفكارهم، فنقلوها للمسلمين، ودرّسوها لطلابهم في الجامعات والكتب، بدليل أننا نجدهم يكررون الشبهات ذاتها التي ابتدعها هؤلاء المستشرقون، وبعضهم يتبرع بالإضافة من كيسه.

واليوم للأسف أصبح أبواق ترديد كلام المستشرقين كثراً، لذا قال ﷺ: (**سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**).

وأخيراً، إذا ما عدنا إلى عبارة: صحيح أحاديث المهدي غير صريحة وصيحها غير صحيح، والتي يقصد بها أن الأحاديث التي في البخاري ومسلم لم يصرح فيها اسم المهديّ،

والأحاديث التي ذكر فيها اسم المهدي هي غير صحيحة الإسناد، مع أن المتأمل في هذه العبارة يجد أنها في الحقيقة يكمل بعضها بعضاً ولا يناقضه.

وقد رددنا على الجزء الثاني من العبارة وبيّنا بأنه يوجد منها الصحيح الصريح، أما مسألة عدم التصريح باسم المهدي في أحاديث الصحيحين فسوف نناقشها هنا:

روى الشيخان أنه ﷺ قال: **كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**. وعند الإمام مسلم: قال ﷺ: **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة.**

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى: **وإذا هم بعيسى، فيقال: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم.**

وعند ابن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال : **وكلهم (أي المسلمون) ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم ، إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول: تقدم فإنها لك أقيمت.**

لذا قال البعض: إن أحاديث المهدي في الصحيحين: (صحيحها غير صريح وصريحها غير صحيح).

وهذه العبارة تثبت التكامل لا التناقض، ومع ذلك فالرد عليهم سهل وبسيط، أليس منهجنا هو جمع كل أحاديث الباب؟

ففي حديث البخاري بأنه إمام المسلمين وقتئذ، وهو نفسه الذي جاء في صحيح مسلم بأنه أمير المسلمين وقتها، إذاً: ما الذي يجمع بين كل هذا؟

قال ﷺ: (**منا الذي يصلي عيسى بن مريم ﷺ خلفه**) رواه أبو نعيم في كتاب المهدي.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المهدي منا، يدفعها إلى عيسى بن مريم ﷺ. رواه نعيم في الفتن. وعن ابن سيرين رحمه الله قال: المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم. رواه ابن أبي شيبة.

وقال ﷺ: (**ينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**) فذكر صراحة أن أميرهم المهدي. أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وأبو نعيم في أخبار المهدي والسيوطي في العرف الوردي، وقال ابن القيم في المنار المنيف: هذا إسناد جيد.

إذاً من هذه الأحاديث يتبين لنا بأن المذكور في أحاديث البخاري ومسلم هو الإمام المهدي ذاته المذكور في الاحاديث التي صرّحت باسمه، وعليه يكون: صريح الأحاديث وصحيح الأحاديث يكمل بعضها بعضاً.

# الفصل الثالث

# الربط بين:

# العالمية في القرآن الكريم

# وعالمية المهدي الموعود

## تمهيد:

الاصطفاء هو أمر رباني بحت، يصطفي الله تعالى من يشاء من عباده لما يشاء من الأعمال، في الزمن الذي يشاء، لا يُسأل عن شيء، فعّال لما يريد، له الحكمة البالغة سبحانه.

قال تعالى: **{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم}** [آل عمران:٣٣-٣٤]

فقد جعل الله النبوة من بعد سيدنا إبراهيم ﷺ في ابنيه: إسماعيل ﷺ، وإسحاق ﷺ، ثم كان من نسل إسماعيل ﷺ بعد زمن طويل، سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

أمّا في جانب إسحاق ﷺ، فقد كان أيوب ﷺ من نسل إسحاق ﷺ، وكان يعقوب ﷺ ابن إسحاق ﷺ، ثم كان يوسف ﷺ ابن يعقوب ﷺ، ثم كان موسى ﷺ وهارون ﷺ من نسل لاوي بن يعقوب ﷺ، ثم كان داود ﷺ من نسل يهوذا بن يعقوب ﷺ، وسليمان ﷺ ابن داود ﷺ، ثم من نسل سليمان ﷺ زكريا ﷺ، ويحيى ﷺ ابن زكريا ﷺ، واليسع ﷺ من نسل يوسف ﷺ، ثم أخيراً كان المسيح ﷺ ابن مريم عليها السلام، ومريم من نسل سليمان ﷺ، والله أعلم.

إذاً، لقد كان أنبياء بني إسرائيل، وهم كثر، بعضهم من نسل بعض، وكان آخرهم سيدنا عيسى ﷺ، وهو الذي سينزل في آخر الزمان، ولكن من جانب إسماعيل ﷺ لم يبعث الله رسلاً إلا سيدنا محمد ﷺ، ولكن الله له اصطفاء آخر، سنتعرف عليه بعد قليل إن شاء الله.

فكأن الدنيا لها بدايتان ونهاية، فالبداية الأولى كانت بآدم ﷺ، والبداية الثانية كانت بسيد ولد آدم سيدنا محمد ﷺ، وكان بينهما العديد من الأمم، فاختار الله أن تكون أمة مزامنةً لنهايات الزمان بجانب الأمة الخاتمة التي هي أمة الإسلام، أمة من الأمم التي سبقتها زمنياً وهم أهل الكتاب.

ولما لمْ يُقَدِّر الله تعالى أن يعود سيدنا محمد ﷺ إلى الدنيا في آخر الزمان، وقدّر أن ينزل المسيح ﷺ الذي ارتبطت به النصارى، وأنكره اليهود، سينزل تابعاً للدين الخاتم دين الإسلام، فقد

قدّر الله تعالى أنه من سينوب عنه رجل مهدي يكون الشاهد على نهايات الزمان والفصل بين الأمم الباقية وقتئذ، ثم يسلمها لنبي الله ورسوله عيسى ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: (**فقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)[١].

وللتدليل على كلامي السابق، لابد من بسط الأدلة التي توضح المهمة الختامية للمهدي، والتي لو لم يكن قد ورد فيه إلا حديث واحد، لكفى أن يكون ذلك دليلاً يقوي توقعات "السيناريو" النهائي للصراع بين آخر الأمم وآخر الملل والأفكار على الأرض، ومن هذه الأدلة:

[١] رواه البخاري.

# الخصوصية الهاشمية

فإذا كان الله تعالى قد قدّر في بني اسرائيل أن الأنبياء قد خلفوا بعضهم في تسيير أمور بني إسرائيل، وخصّ القيادة الدينية والسياسية في أبناء نبي الله يعقوب صلى الله عليه وسلم، فإنه سبحانه قد قدّر أنه لا نبي بعد خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن سينوب عنه في آخر الزمان رجلٌ من نسله يكون هادياً مهدياً، يجبر كسر الأمة ويجمع شتاتها ويسير فيهم بالعدل، ويكون دليلاً على أن هذه الأمة لا تُحكم إلا بالخلافة القرشية عموماً والهاشمية خاصة، ثم تتعدى مهمة المهدي من قائد أو خليفة للعرب والمسلمين، إلى مجاهد فاتح لكل بقعة من بقاع الأرض يسكن فيها بشر، وإيصال رسالة الإسلام إليهم، قبل أن يسلّم أمر العالم إلى السيد المسيح نبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم، وبهذا يكون الإسلام قد بدأ بالنبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم، وخُتم بالمهدي الهاشمي عليه رضوان الله تعالى، والنصوص على ذلك كثيرة وتتظافر معانيها لرسم هذه الصورة. قال صلى الله عليه وسلم:

**(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل ﷺ، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)**[1].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: "استدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم، ولا غير بني هاشم كفؤ لهم إلا بني المطلب، فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد كما صرح به في الحديث الصحيح والله أعلم".

فقريش هي صفوة العرب، وبنو هاشم هم صفوة قريش، والرسول صلى الله عليه وسلم هو صفوة الصفوة، والمهدي من نسل هذه الصفوة المختارة، فكما أن أنبياء بني إسرائيل مصطفون من بعضهم البعض، مكلفون بالتبليغ عن ربهم جلّ في علاه، فإن المهدي صفوة آل البيت في زمنه،

---

[1] رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

الذي اختاره الله تعالى لآخر الزمان ولكن بلا نبوة، كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[1].

وكما روى الطبراني: (إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[2]. وفي معناه ذكر صاحب التلخيص الحبير: "وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم في ترجمة عمر من طريق شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين، عن عمر رضي الله عنه في أثناء حديث: "وكل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم". ويشهد لهذا أيضاً ما جاء في البخاري قال صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد، يعني الحسن بن علي)، فنسبه صلى الله عليه وسلم إليه فقال: ابني.

ولما كانت الخلافة في قريش وصية نبوية، فهي حين تنتقل إلى الهاشميين في خلافة بيت المقدس آخر الزمان[3]، ستصل إلى صفوة الهواشم في زمنه، الرجل الصالح، الذي هو المهدي.

**(قالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك)**[4].

فلا يزال الأمر في قريش، يسلبه البعض هنا أو هناك، في بعض الأزمان، حتى يعود إليهم، قال صلى الله عليه وسلم: **(الأئمة من قريش)**[5]، وقال صلى الله عليه وسلم: **(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)**[6].

---

[1] رواه مسلم.

[2] رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيتمي في المجمع: فيه يحيى بن العلاء وهو متروك، وقد أوردت الحديث لتوضيح ما أرمي إليه، وليس للاستشهاد به.

[3] راجع كتابي "الخلافة المقدسية".

[4] رواه ابن ماجة.

[5] قال ابن حزم في الفصل: وهذه رواية الأئمة من قريش جاءت مجيء التواتر.

[6] رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم.

وقال ﷺ: (**الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم**)، وفي رواية: (**الناس تبع لقريش في الخير والشر**)[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: "هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة، وكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع، أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة. قال القاضي: اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر – رضي الله عنهم – على الأنصار يوم السقيفة، فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار، قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله: إن غير القريشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين. والله أعلم".

أما عن كون المهدي هو نائب رسول الله ﷺ وخليفته من بعده وبعد الاثني عشر خليفة راشدي، فهذا مما عليه أدلة واضحة سنناقشها بعرض موجز، ومن أراد التوسع فعليه بكتابي **"الخلافة المقدسية"**.

فعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد}** [الرعد:٧]، قال: (رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر، والهادِ رجل من بني هاشم)[٢].

ورداً على منكري شخصية المهدي وأنه في آخر الزمان وأنه يملأ الأرض عدلاً، فلا أدري أين وجه التعجب من هذه الفكرة عموماً؟ خاصة إذا علمنا — بالإضافة إلى الأدلة السابقة — أنها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ووعده.

---

[١] رواه مسلم، انظر المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم.

[٢] رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن كثير في تفسيره.

أما دعوته: فقد قال رسول الله ﷺ: **(اللهم أذقت أوّل قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً)**[1]. قال صاحب تحفة الأحوذي: "أي: يوم بدر، والأحزاب "نكالا" بفتح النون أي: عذاباً بالقتل، والقهر وقيل: بالقحط، والغلاء "فأذق آخرهم نوالا" أي: إنعاماً وعطاء وفتحاً من عندك، وقال في "اللمعات": لعل المراد بالنكال ما أصاب أوائلهم بكفرهم وإنكارهم على رسول الله ﷺ من الخزي، والعذاب، والقتل، وبالنوال وما حصل لأواخرهم من العزة، والملك، والخلافة، والإمارة ما لا يحيط بوصفه البيان".

وأما وعده فقد قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي – أو من أهل بيتي – يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً)**[2].

وعن فرات القزاز قال: عن أبي معبد – نافذ مولى ابن عباس – قال قلت له: سمعت ابن عباس يذكر في المهدي شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: "والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لختم الله بنا هذا الأمر كما فتحه، وقال: بنا فتح هذا الأمر وبنا يختم"[3].

وعن أبي معبد عن ابن عباس قال: "إني لأرجو ألا تذهب الأيام والليالي حتى يبعث الله منا – أهل البيت – غلاماً شاباً حدثاً لم تلبسه الفتن ولم يلبسها، يقيم أمر هذه الأمة، كما فتح الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا. قال أبو معبد: فقلت لابن عباس: أعجزت عنه شيوخكم حتى ترجوه لشبابكم؟ قال: إن الله عز وجل يقول: يفعل ما يشاء"[4]. وزاد البيهقي والداني: "كما فتح الله هذا الأمر بنا، فأرجو أ يختمه الله بنا".

---

[1] رواه أحمد وابن أبي شيبة، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

[2] رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في الحلية، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[3] رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، قال محقق الكتاب "الدكتور رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري": وهو موقوف، ورجال إسناده ثقات، إلا أن شريك بن معبد قال فيه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، وتغير حفظه منذ ولي قضاء الكوفة، ولكن له طريق أخرى.. وفيه بعض الزيادات.

[4] قال المحقق: .. والاثر أورده السلمي في عقد الدرر (ص١٠٦ رقم ٦٨) من رواية المؤلف، .. وأخرجه البيهقي في البعث (ص٢١٢ رقم ١٣٣) من طريق آخر عن سفيان عن عمرو بن دينار به نحوه، دون قول أبي معبد، وأورده علي المتقي في كنز

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: "أمِنّا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منا، بنا يختم الله كما بنا فتح، وبنا يستنقذون من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة، كما بنا ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك. قال علي: أمؤمنون أم كافرون؟ فقال: مفتون وكافر"[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "عجّل حسين قدره، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني، ببني هاشم فتح هذا الأمر، وببني هاشم يختم، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان"[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "المهدي شاب منا أهل البيت، قيل: عجز عنها شيوخكم ويرجوها شبابكم؟ قال: يفعل الله ما يشاء"[3].

فإن كان الأسباط اثني عشر رجلاً، ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيباً، وحواريو المسيح صلى الله عليه وسلم أيضاً اثني عشر حوارياً، فإن الخلفاء أيضاً اثني عشر، قال تعالى:

**{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا} [المائدة:١٢]**

وعن مسروق قال: "كنا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جلوساً في المسجد يقرئنا فأتاه رجل فقال يا ابن مسعود: هل حدثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: نعم، كعدة نقباء بني إسرائيل"[4].

---

العمال (١٤/ ٥٨٦) وعزا تخريجه إلى ابن عساكر، وهو موقوف، وفي اسناد المؤلف إبراهيم بن بشار له أوهام، وله طريق آخر وتقدم قبله، وفيه شريك بن عبد الله النخعي يخطئ كثيرا وتغير حفظه، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفاً.

[1] رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيتمي في المجمع: فيه عمرو بن جابر الحضرمي وهو كذاب. وأخرجه نعيم بن حماد بإسنادين مختلفين، الأول فيه انقطاع بين مكحول وعلي رضي الله عنه، والثاني ضعيف.

[2] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن كثير في البداية والنهاية.

[3] رواه نعيم في الفتن، والداني في سنن الفتن، وإسناده حسن.

[4] رواه الإمام أحمد في مسنده.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، – ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت علي – فسألت أبي: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلهم من قريش**)[١].

قال ابن كثير في تفسيره: "وهذا لفظ مسلم ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره: أنه يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب "سامراء". فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة [الاثني عشر] الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم. وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام، وأن الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً، وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود إذ اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الاثنا عشر، فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً، لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم".

**والخلاصة**: أن المهدي هو من أهل بيت النبوة، وهو آخر الخلفاء الراشدين المهديين الاثني عشر، وقد مضى منهم خمسة وهم: أبو بكر وعم وعثمان وعلي والحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً، وذلك خلافاً لما ذكره الإمام ابن كثير آنفاً، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حدد الخلافة بعده بثلاثين عاماً، وكان تمامها بهؤلاء الخمسة رضوان الله عليهم، ثم سيكون سبعة في الخلافة التي

---

[١] البخاري ومسلم وغيرهما.

في آخر الزمان في بيت المقدس، حيث سماهم أيضاً النبي ﷺ بالخلفاء، ويكون آخرهم المهدي، وقد بسطت ذلك في كتابي "الخلافة المقدسية" فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

إذاً، فالخلفاء الباقون سبعة، وآخرهم المهدي هم خلفاء بيت المقدس، ثم ينزل المسيح ﷺ، هؤلاء هم الاثنا عشر خليفة الذين أخبر عنهم ﷺ، والخليفة هو من ينوب عمن قبله، وحيث إن أولهم كان أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وكان لقبه خليفة رسول الله ﷺ، وهكذا فإن آخر خليفة عن رسول الله ﷺ هو المهدي.

# مسؤولية أهل البيت العالمية

علمنا مما سبق أن أهل بيت النبوة لهم خصائص اختصهم الله تعالى بها، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته، **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** [الأنعام:١٢٤]، لا يُسأل عن شيء سبحانه، بل هو سبحانه الذي أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمرنا بالمودة للقربى، **{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}** [الشورى:٢٣].

وهو سبحانه الذي فرض عليهم المسؤولية وجعلهم قدوة للأمة، فضاعف العذاب وضاعف الأجر، وذلك لقربهم من النبي القائد القدوة الأسوة المعلِّم صلى الله عليه وسلم، فكان لأهل بيته هذه الأحكام الخاصة في الثواب وما يقابله، قال تعالى:

**{يَانِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَانِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}** [الأحزاب: ٣٠-٣١-٣٢-٣٣].

لذا وصّى النبي صلى الله عليه وسلم بأهل بيته في أكثر من مناسبة، وبيّن لنا أهمية دورهم على مر الزمان، وأحقيتهم بالخلافة، وبأنهم سفينة النجاة، خاصة عند وقوع الفتن.

**عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله**

**فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)**

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم[1].

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: وَقَوْلُهُ: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾:

أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَضَعُ رِسَالَتَهُ وَمَنْ يَصْلُحُ لَهَا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ**﴾ الْآيَةَ [الزُّخْرُفِ: ٣١، ٣٢] يَعْنُونَ: لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ عَظِيمٍ كَبِيرٍ مُبَجَّلٍ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ أَيْ: مَكَّةَ وَالطَّائِفِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ -قَبَّحَهُمُ اللَّهُ -كَانُوا يَزْدَرُونَ بِالرَّسُولِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَغْيًا وَحَسَدًا، وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا**﴾ [الْفُرْقَانِ: ٤١] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٠] . هَذَا وَهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ. وَطَهَارَةِ بَيْتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَنْشَئِهِ، حَتَّى أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ بَيْنَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ: "الْأَمِينَ"، وَقَدِ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ رَئِيسُ الْكُفَّارِ "أَبُو سُفْيَانَ" حِينَ سَأَلَهُ "هِرَقْلُ" مَلِكُ الرُّومِ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا الْحَدِيثُ بِطُولِهِ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ مَلِكُ الرُّومِ بِطَهَارَةِ صِفَاتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى صِدْقِهِ وَنُبُوَّتِهِ وَصِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ.

[1] رواه مسلم.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصعب، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ شَدَّاد أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ".

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ –وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ، بِهِ نحوه.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بُعِثت مِنْ خَيْرِ قُرون بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ".

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيم، عَنْ سُفْيَانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحارث ابن نَوْفَلٍ، عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ قَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ: بَلَغَهُ ﷺ بعضُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: "مَنْ أَنَا؟ ". قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: "أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ. وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا". صَدَقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا الْمَرْوِيّ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "قَالَ لِي جِبْرِيلُ: قَلَّبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَقَلَّبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ". رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْش، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ. ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ

قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ.

وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا شُجاع بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: ذَكَرَ قَابُوسُ بْنُ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَا سَلْمَانُ، لَا تُبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أبْغِضُك وَبِكَ هَدَانَا اللَّهُ؟ قَالَ: "تُبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي".

وَذَكَر ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ذُكِرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْجَوَازُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ قَالَ: أَبْصَرَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ فَلَمَّا نَظَرَ إليه راعه، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ عَبَّاسٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾

# تخلي الأمة عن حكم آل البيت

روى الشيخان أنه ﷺ قال: **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم شِبْرًا بشبْر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ؛ قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى؟ قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فَمَن؟!**.

وروى الإمام أحمد والإمام البخاري أنه ﷺ قال: **لا تَقومُ الساعةُ حتى تَأخُذَ أُمَّتي بمآخِذِ الأُمَمِ والقرونِ قبلَها، شِبرًا بشِبرٍ، وذِراعًا بذِراعٍ، فقال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، كما فعَلَتِ فارسُ والرومُ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: وهلِ الناسُ إلَّا أولئك؟**.

وهذا ما حدث فعلاً، فقد تخلت الأمة عن نظام: (الخلافة في قريش) الذي اختاره الله لهذه الأمة، وأبت إلا أن تتبع الأمم الأخرى من اليهود والنصارى والفرس والروم في أنظمة حكمهم لأنفسهم، فاتبعوهم في فكرة: نظام قيام الأحزاب والأحزاب المعارضة المدعومة من دول الخارج، وأصبح الميل نحو الحكم العسكري بعد الثورات الانقلابية، هو السائد المقبول غير المجرب من قبل، ثم اكتمل المشهد السياسي من خلال تشكيل الأحزاب المنافسة على الحكم، بغض النظر عن ماهية ودستور هذه الأحزاب وتوافقها مع الشريعة الإسلامية، فظهرت الأحزاب الدينية والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والليبرالية وغيرها مما كانت تنتهجه تلك الأمم في تسيير شؤونها من أنظمة سياسية.

ولو تجولنا بين أهم المشاهد والمواقف التاريخية التي مرت بها الأمة في القرن الأخير لعرفنا حجم فشل هذه الأنظمة القائمة على الأحزاب الحاكمة التابعة للعسكر والأحزاب المعارضة الممولة من الخارج، فشل يعقبه فشل ونكبة خلفها نكسة، وسقوط يليه انحدار، ولم تر الأمة يوم عزّ حقيقي واحد، حتى ما يسمى بأيام الاستقلال أو التحرير إنما هي في حقيقتها انتقال من المحتل الأجنبي إلى الطاغوت المحلي العسكري أو على مراحل من خلال مخادع يلبس عباءة الدين بشعارات زائفة، تارة تخدّر الشعوب، وتارة تعلق فشلها على الآخرين.

فمن المعلوم أنه خلال سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، ظهر أسوأ قرارين على مستوى الأمة العربية والإسلامية، كان من شأنهما إضعاف وتقسيم راية المسلمين، وأعني تقسيم البلاد العربية بما عُرف باتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦، ووعد بلفور عام ١٩١٧ والذي نتج عنه منح أرض فلسطين لليهود.

ومن الضروري جداً أن نعلم أن السلطنة العثمانية لم تبدأ بالانهيار وفقد سيطرتها على الحكم في البلاد العربية في ٣ مارس عام ١٩٢٤م/ الموافق ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ، على إثر مرسوم الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا. بعد خلع السلطان عبد المجيد الثاني.

ولا حتى في عام ١٩٢٢، عندما أُسقِط السلطان محمد السادس، بعد عزله ومغادرته العاصمة (إسطنبول) على متن سفينة حربية بريطانية.

بل كانت نهاية السلطنة بعد تخطيط استمر لأكثر من أربع وعشرين سنة، منذ تم قيام جمعية تركيا الفتاة (أي: شباب تركيا) عام ١٨٨٩، من قِبل مجموعة من الطلاب العسكريين الأتراك، إلى عام ١٩١٣ عندما تم تطويق مقر الحكومة العثمانية "الباب العالي" بقيادة أنور باشا وإجبار مجلس الوزراء على الاستقالة، وكان وقتها الحكم الفعلي للبلاد بيد الباشوات الثلاثة: طلعت باشا الصدر الأعظم ووزير الداخلية، وإسماعيل أنور باشا وزير الحربية، وأحمد جمال باشا الملقب بالسفاح وزير البحرية.

وكان كمال باشا أتاتورك أحد مؤسسي جمعية تركيا الفتاة عام ١٨٨٩ ومعه خليل باشا رئيس البرلمان، وهؤلاء هم حكام تركيا الحقيقيون بعد الانقلاب على السلطان عام ١٩٠٨ الى أن أعلنوا ذلك بعد السيطرة على مقر الحكومة (الباب العالي) عام ١٩١٣، وبقي هؤلاء يحكمون حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وكانت بداية هذا الحزب الذي تأسس في البداية كحزب معارض للسلطان عبد الحميد الثاني، ثم تطور حتى حكم البلاد من خلف الستار وأدخلها في حرب عالمية لا ناقة لها فيها ولا جمل، فورطوا شباب الأمة وجندوهم إجبارياً حتى خسروا الحرب، وتم تقسيم التركة بين الدول المنتصرة، فدخلت الأمة في كهف مظلم، ثم ساروا من مغارات معتمة من انحطاط إلى انحطاط

أكبر، حتى انسلخوا عن حقيقة دينهم ونسوا النظام الذي اختاره الله لهم، نظام (الخلافة في قريش) هذا النظام الذي يشبه نظاماً كان موجوداً في الأمة التي تسبقنا وهي أمة اليهود حيث كان نظامهم: النبوة في نسل يعقوب ﷺ أو بني اسرائيل، كما روى الإمام البخاري حديثاً يختصر كل ما ذكرته، حين قال ﷺ: **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ، قالوا: فَما تَأْمُرُنا؟ قالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأوَّلِ، فَالأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فإنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ.**

فكان أن الله تعالى قد اختار لهم نظاماً يقوم على أن بني إسرائيل يتولى سياسة أمور دينهم ودنياهم أنبياء من نسل سيدنا يعقوب ﷺ، ولكن أمتنا اختار الله تعالى لها أن تكون خلافة نبوة وليس أنبياء، واختار أن يكون الخلفاء من قريش، ولكن لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن الأمة لن تفي عهدها وتنفّذ وصية نبيها ﷺ حين قال: **الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم.** وحديث: **الناس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع لشرارهم.**

فقد قال العلماء بإجماع أن من شروط الخليفة أن يكون قرشياً، بدليل انعقاد إجماع الصحابة عليه، عندما احتجّ أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه يوم السَّقيفة على الأنصار عندما أرادوا مبايعة سعد بن عبادة رضي الله عنه بقول النَّبيّ ﷺ: **الأئمة من قريش.** فأقلعوا عن التَّفرُّد بها، ورجعوا عن المشاركة فيها، حين قالوا: منَّا أمير ومنكم أمير، تسليماً لروايته، وتصديقاً لخبره، ورضوا بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فالحاصل.. أن النظام الذي ارتضاه الله تعالى لهذه الأمة هو أن يكون الحكم على شكل خلافة في قريش، ولكن ما حدث أن الخلافة انتقلت من قريش بل من العرب إلى الترك على مراحل عديدة ومختلفة، حتى استقرت على السلطنة العثمانية التي ما إن زالت حتى ظهرت هذه القوميات والحدود المصطنعة، وتم تقسيم الأمة بما لم تشهده من قبل، وظهرت فيه —كما أسلفنا— أنظمة العسكر والجيش والأحزاب المتناحرة، مع أن الدين ينهى عن التنافس على الحكم كما سنبين ذلك بعد قليل إن شاء الله.

ومع هزيمة الدولة العثمانية للحرب التي أقحمت نفسها فيها، وظهور القوميات والأحزاب وتضجر القوميين من الخلافة ورفض إعادة إقامتها، وأصبح الحكم يتداول عليه كل من هبّ ودبّ، وأصبح الحكم للأقوى ممن يمتلك شرطين: قيادة الجيش وتسخيره لنفسه، والاتصال بالدول القوية من أعداء الإسلام لضمان الاعتراف به بما أصبح يُسمى بالشرعية الدولية واعتراف المجتمع الدولي، واستمر هذا الحال حتى دخول الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، فما إن دخلت الولايات المتحدة في الحرب في أواخرها في عام ١٩٤٢، ورجّحت الكفة لانتصار دول الحلفاء على دول المحور، حتى برزت الولايات المتحدة وإلى جانبها الاتحاد السوفييتي كقوتين عظيمتين، وانحسرت الدول الأوروبية التي كانت تحتل الدول العربية، فتراجعت لصالح الولايات المتحدة التي بدأت عصراً جديداً ونظاماً عالمياً جديداً، تقوده هي بعد أن فرضت على دول أوروبا الرضوخ لها، فظهرت جمعيات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيرها، ولكن الأهم من ذلك كله ظهور الدولة العميقة التي تقود العالم من خلال تحكمها بالاقتصاد وتجارة السلاح وإدارة البنوك وطبع العملات وغيرها.

وكانت الولايات المتحدة تخطط لهذا النظام العالي الجديد قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، من خلال تحكم اللوبي اليهودي أصحاب رؤوس الأموال والمتحكمين في الذهب والإعلام والعملات.

## قصة ظهور الدولار:

في عام ١٩٣٢ فاز روزفلت بالانتخابات ليصبح الرئيس ال٣٢ للولايات المتحدة ، وكانت البلاد وقتئذ في كساد اقتصادي وتفشٍ للبطالة، فكان من أوائل قرارات هذا الرئيس الجديد، أن استغل قانوناً يقضي بتجريم التعامل التجاري مع الدول المعادية، فقام باتهامات عامة لمواطنين كثر بأنهم يصدرون الذهب للعدو، وعليه فقد أمر كل مواطن ببيع ما يملك من الذهب للبنك الفيدرالي مقابل ٢٠،٦٧ للأونصة، وإلا فالعقوبة ستكون من ٥ الى ١٠ سنوات سجناً مع غرامة مالية كبرى، واستمر هذا القرار الى منتصف الستينات تقريباً.

وبهذا هيمن البنك الفيدرالي (اليهودي الأصل) على الشعب الأمريكي من حيث لا يدري، حين قام بجمع الذهب وفرض العملة الورقية التي تفرد بطباعتها، ثم بدأ بإقراض الحكومة لتقوم بموازناتها المالية، ولكن كانت قروض بفوائد ربوية وشروط قاسية، فكانت الحكومة تقوم بدورها بفرض الضرائب على الشعب، ودفعها للبنك الفيدرالي لسداد القروض، وهكذا دواليك، فيزداد الشعب تورطاً بالفوائد وتزداد الحكومة خضوعاً للبنك الذي يملكه اليهود، بينما يظن الشعب أنه حكومياً، فكانت أكبر خدعة عاشها الشعب الأمريكي.

وفي عام ١٩٤٤ وبعد ظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية كبرى رجحت انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور، وقبل انتهاء الحرب العالمية بسنة تقريباً، دعت الولايات المتحدة ٤٤ دولة للاجتماع في مدينة "بريتون وودز" في ولاية "نيوهامشر" الأمريكية، والذي فرضت فيه الولايات المتحدة نظاماً اقتصادياً جديداً يصب في مصالحها ومصالح اليهود من قبل.

هذا النظام الذي سحب البساط من بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرّدت كقطب امبراطوري يسيطر على العالم، وليعلن عن هيمنة اقتصادية وعسكرية وسياسية جديدة في العالم.

كان من أهم قرارات مؤتمر "بريتون وودز" هيمنة الدولار الامريكي كعملة عالمية يتم ربطها بالذهب مقابل ٣٥ دولار لكل أونصة من الذهب الخالص، ومن ثم ربط أسعار العملات بسعر الدولار وإلغاء نظام تعويم سعر الذهب المعمول به سابقاً.

وبهذا تكون الدول مجبرة على شراء الدولار لأجل التبادلات التجارية ولأجل سداد ديونها لأمريكا بعد أن أغرقتها مع فوائدها الربوية لإعادة الإعمار بعد الحرب، وكذلك ليكون احتياطاً إضافياً في خزائن الدول بالإضافة للذهب.

كما نتج عن "بريتون وودز" أيضاً عدة مؤسسات دولية، كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ثم عصبة الأمم المتحدة فيما بعد.

فكان من مهام مؤسسة صندوق النقد الدولي – على سبيل المثال – إقراض الدول بفوائد عالية، وبشروط قاسية لإعادة الاعمار بعد الحرب العالمية، أو لإشعال الحروب المتجددة وشراء الأسلحة، ومن هذه الشروط القاسية مثلاً تحديد الشركات التي يجب التعامل معها وبالأسعار التي تفرضها.

ولكن بعد حرب فيتنام، تلقت الولايات المتحدة صدمة كبيرة أرهقت الاقتصاد الامريكي بشكل كبير جداً، فبدأت بطبع الدولار من غير تغطية من الذهب، حتى وصل الفارق بين الأرصدة الذهبية والتي تقدر بـ١١ بليون دولار وبين الأرصدة الورقية التي خارج الولايات المتحدة بـ ٣٥ بليون دولار، ما جعلها تعجز عن تلبية طلبات الدول الأوروبية بصرف ما تمتلكه تلك الدول من عملات دولارية ورقية ذهباً.

حتى أعلن رئيس الولايات المتحدة وقتها نيكسون، عما سُمّي وقتها بـ(صدمة نيكسون) حيث أعلن عن فك الارتباط بين الدولار والذهب، الأمر الذي جعل الدولار في خطر الانهيار، مما جعل الدول الأوروبية وأمريكا تجتمع في مؤتمر "جامايكا" عام ١٩٧٦، والذي نتج عنه إلغاء العمل بنظام "بريتون وودز" ، والعمل على نظام جديد وهو تعويم العملات والذهب (اي يحدد سعر صرف العملات بحسب العرض والطلب، وكذلك تحرير الذهب ليصبح كأي سلعة يمكن أن يرتفع سعره أو ينخفض).

الأمر الذي دعا الولايات المتحدة للتفكير الجدي والعاجل لحل هذه المشكلة قبل فوات الاوان وانهيارها اقتصادياً، ليظهر الحل من هولندا.

حيث تم عقد مؤتمر مجموعة "البيلدربيرغ" بين وزير الخارجية الأمريكي وقتها هنري كيسنجر وأصحاب كبرى الشركات اليهودية، والذي نتج عنه:

١- اجتماع كيسنجر مع فيصل آل سعود وتخويفه من الاتحاد السوفياتي، وبالتالي الاتفاق على أن يتم بيع النفط السعودي حصراً بالدولار، مقابل حماية أمريكا للسعودية، وبشرط أن تستثمر

السعودية هذه الدولارات التي ستجمعها في سندات الخزانة الأمريكية من أجل تمويل الإنفاق الأمريكي، وهذا الاتفاق هو ما يسمى باتفاق (البترودولار) أي ربط بيع البترول بالدولار.

٢- استغلال نتائج ما تم التخطيط له قبل ذلك بشأن التخطيط لحرب عام ١٩٧٣، واستخدام النفط كسلاح نتج عنه ارتفاع سعر البرميل من ٣ دولاراتٍ إلى ١٣ دولاراً، وبالفعل هذا ما حدث، ففي عام ١٩٧٧ كانت مشتريات السعودية نحو ٢٠% من جميع سندات الخزانة الأمريكية المباعة للأجانب، ومن هنا نفهم مثلاً قول السيناتور السابق رون بول حين قال: (إن نظام البترودولار والقوى المؤثرة فيه هو أفضل طريقة للتنبؤ بموعد انهيار الدولار الأمريكي).

النتيجة أنه بهذه الحيل اليهودية على الشعوب وعلى الدول والحكومات، أصبح في يد اليهود، وليس في يد أمريكا، الذهب والمال والسيطرة الاقتصادية، وبالتالي القدرة على فرض رؤيتها ونظام التعامل والأسعار العالمية وإشعال الحروب.

ومن أهم نتائج هذا النظام العالمي الجديد، أنهم استطاعوا فرض توقيت الحروب وأماكنها في العالم، وفرض الأنظمة والحكام المتعاونين معهم بشكل أو بآخر على الشعوب.

ولكن لإتمام هذا النظام وفرض سيطرته على العالم العربي وضمان اشغاله بنفسه حتى لا يظهر الإسلام كقوة عظمى تنافس الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في العالم، كان من خطة الدولة العميقة التي استولت على الاقتصاد والإعلام والبنوك والأسلحة والأموال، أن تُوجِدَ المنافس القوي الذي يمكن أن تدعمه هذه الدولة العميقة كما تدعم حكام العسكر بحيث ألا ينتصر طرف على الآخر.

ومن هنا ظهرت فكرة إبراز ما يسمى بالإسلام السياسي بشقيه الشيعي والسني، فكان دعم الثورة التي قام بها الشعب الإيراني على ظلم الشاه، وعندما خشيت الدولة العميقة من أن تتجه هذه الثورة نحو زعماء الأحزاب الشيوعية التي كانت تقود هذه الثورة الشعبية، (وجود هؤلاء القادة من الأحزاب الشيوعية يعني ميل إيران بعد انتصار الثورة إلى الجانب السوفييتي، وبذلك يتم خسارة حليف قوي يمكن أن يكسبه السوفييت الذين ينافسون الولايات المتحدة على قطبية قيادة

العالم) جاء التخطيط لدعم ما يسمى بالإسلام السياسي، كونه سيكون أهون وأقل خطراً من التوجه نحو الشيوعية السوفييتية، فبدأ الدعم لتوصيل أشرطة الخميني المعارض المبعد من إيران، وتوصيل أشرطته إلى الشعب واستغلال الثورة وتوجيهها بما يضمن النتائج التي يريدونها، فتمّ الدعم الإعلامي للخميني وإظهاره كقائد للثورة ضد الشاه بلباس ديني، حتى وصلوا إلى إحضاره على متن الطائرة الفرنسية ونزوله في مطار طهران وتم استقباله كبطل مناضل ضد الظلم والقهر، وبأنه البديل الذي جاء بالحكم الإسلامي الذي يقوم على العدل والمساواة.

ثم تم طرد الحكومة القائمة وقتها إلى مصر، وتحييد الجيش الإيراني الذي كان على الحياد أصلاً ولم يصطفّ إلى جانب الشاه ضد الشعب، وجيء برئيس مؤقت للدولة وقتها وهو "أبو الحسن بني صدر" حيث كان توافقياً كونه علمانياً بيروقراطياً غير معادٍ للدين، ولكن كأي ثورة انقلابية، وحتى يضمن الخميني والغرب من خلفه نجاح ثورته ودوام قيادته وانفراده بالسلطة والجيش والحكم، تم إلقاء القبض على قادة الثوار الذين ثاروا ضد الشاه، وجميع قادة المعارضة، أمثال أحزاب "تودا" و"خلق" بالإضافة إلى قادة الإصلاح من رجال الدين، فكان مصيرهم بين القتل والسجن والهروب، حتى الجيش نفسه لم يسلم من البطش، فقد تك إعدام حوالي سبعين ألفاً بين ضابط وجندي، فكانت حملة تطهير لكل من يُظن أنه سيكون معارضاً للخميني.

وطبعاً كل هذا كان بالتعاون والتنسيق والموافقة الضمنية المبطنة للدولة العميقة ودول الغرب عموماً، وكان الرافض الوحيد لهذه الثورة هو الاتحاد السوفييتي وحلفاؤه من الأنظمة الشيعية، التي كانت تعادي الدين ما جعلها تنظر إلى هذه الثورة بأنها عدو مباشر لها، وذلك خوفاً من أن تقام علاقات سرية مع بعض الجمهوريات ذات الأكثرية من المسلمين والتي كانت تخضع لحكم الاتحاد السوفييتي، مما قد يشكل تحريضاً أو قلقاً أمنياً داخلياً.

وبالعودة للدولة العميقة وإقحام ما يسمى بالإسلام السياسي في الحكم، وعلى الطرف السني، وقد كانت أول طائرة مدنية حطّت على الأراضي الإيرانية مهنئة بنظام الحكم الجديد فيها، نظام الولي الفقيه الذي ينوب بالحكم عن إمام الزمان المهدي المنتظر حتى يخرج من السرداب

بحسب العقيدة الشيعية الاثني عشرية، كانت طائرة حزب الإخوان المسلمين، الذين نظروا لهذه الثورة على أنها أسلوب ناجح في قلب نظام الحكم من ديكتاتوري إلى إسلامي بحسب وجهة نظرهم، ومن هنا نعود لخطة الدولة العميقة.

كانت الدولة العميقة تتشكل من قوى تحالف مؤسسات سرية وأفراد قلائل يملكون المال والإعلام والسلاح، وكانت الدول الكبرى والهيئات العالمية ما هي في الحقيقة إلا أدوات لهذه الدولة العميقة، وكان لابد لها من أدوات خاصة لإدارة منطقة الشرق الأوسط بما يضمن مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية، ومن هنا كان لابد عليها من إيجاد المنافس الدائم والذي يستطيع تخدير وإدارة غالبية الشعوب العربية بشعارات دينية، فكان الاختيار على جماعة الإخوان المسلمين.

لا يمكن لأحدٍ أن ينكر أن أول دعم تلقاه حسن البنا — أحد مؤسسي حركة الإخوان المسلمين — كان من الشركة البريطانية التي كانت تسيطر على قناة السويس، وقد ذكر "مارك كيرتس" في مقابلة له عن عملية تمويل بريطانيا للجماعة منذ التأسيس سرًا في عام ١٩٤٢م، وحين سألته صحيفة "الشرق الأوسط" قائلة: هل من وثائق تدعم الادعاء بأن التمويل البريطاني لجماعة "الإخوان المسلمين" في مصر بدأ في أربعينيات القرن الماضي؛ وأنه خلال العقد التالي كانت بريطانيا متواطئة مع الجماعة لاغتيال عبد الناصر؟ فأجاب: نعم، يوثّق الكتاب ملفات بريطانية سرية تم الكشف عنها، والتي تبين أن بريطانيا بدأت تمويل جماعة "الإخوان المسلمين" سراً في عام ١٩٤٢م.

وقد اعترف حسن البنا نفسه في مذكراته بأن أول تمويل حصل عليه كان من بريطانيا وكان قدره ٥٠٠ جنيه، وكذلك اعتراف سيد قطب أن سفارة بريطانيا في مصر كانت مقرًا للعديد من اجتماعات التنظيم وأعضائه وقتها.

ومن الأدلة أيضاً ما ذكره جمال البنا - شقيق حسن البنا مؤسس تنظيم الإخوان — الذي ظهر في "قناة دريم"، واعترف بعلاقة حزب الإخوان المسلمين بالمخابرات البريطانية.

وكذلك في كتاب "لعبة الشيطان" للكاتب الأمريكي "روبرت داريفوس"، ذكر فيه أن بريطانيا عقدت عدة صفقات – عقب الحرب العالمية الأولى – مع أبرز رؤوس "الإخوان المسلمين" كحسن البنا وغيره.

والحقيقة أنه من أين لشباب لم يبلغ مبالغ الخبرة السياسية وكيف تُسيّر الدول، أن يفهم ألاعيب السياسة البريطانية التي تعتبر مدرسة في المكر والخداع والتي لم يستطع أن يفهمها كثير من العرب.

وهذا مصداق لما رواه الإمام البخاري أنه ﷺ قال: **إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ.**

وهو مصداق ما أخبر به النبي ﷺ من ظهور جيل من حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام لا خبرة لديهم في ألاعيب السياسة وفنونها ويطمحون إلى كراسي الحكم.

ولعله من أبرز خفايا السياسة البريطانية وألاعيبها أنها عندما اختارت فأنشأت وموّلت جماعة الإخوان، اشترطت أن يكون لها جناحان، لكي تتعامل معهما في المستقبل، وأن يكون كل جناح على حدة: جناح حسن البنا، وجناح أحمد السكري المؤسس الثاني لجماعة الإخوان، حتى اذا أرادت التخلص منهما ضربتهما ببعضهما، وهذه سياسة خبيثة استخدمتها أمريكا أيضاً فيما بعد، عندما أنشأت امريكا جماعات ما يسمى الجهاديين العرب في أفغانستان، فاتبعت الأسلوب نفسه ، فأنشأت عدة جماعات، ولكل واحدة قيادة منفصلة، وبعدما انتهت مهمتهم قامت بتسليطهم على بعضهم فقتلوا بعضهم بعضاً.

وكذلك استعمل السوفييت هذه الخطة الخبيثة نفسها ، فعندما أنشأ السوفييت حزب الشعب الديمقراطي في أفغانستان بعد انقلاب داود خان على قريبه الملك الظاهر شاه، اشترطوا أن يكون للحزب جناحان: الأول بقيادة "تراقي"، والثاني بقيادة "كارميل"، ثم انقلب كل واحد منهما على الثاني.

وكذلك عندما قاموا بأفغنة سورية، صنعوا ما سموه دولة الخلافة في سوريا والعراق وجعلوا لها قيادتين متنافستين: البغدادي والجولاني، ثم قتلوا الأول عندما حان وقت ذلك، وها هم يدعمون الثاني لضمان وجودهم في سورية تحت ذريعة محاربة الإرهاب، ذلك الإرهاب الذي صنعوه ومولوه هم أنفسهم.

فأي جهاد هذا الذي كان تأسيسه وتمويله وإدارته وتعيين قادته، يتم بريطانياً وسوفييتياً وأمريكياً ؟!!!

ومن الأدلة أيضاً على الصناعة البريطانية ومن خلفها الدولة العميقة لسياسة إيجاد قيادتين لكل مجموعة حتى تبقى كأداة في يدها تديرها كيفما شاءت، ما قاله علي عشماوي في كتابه "التاريخ السري للإخوان المسلمين": (بدأت أراجع جميع أعمال الإخوان والتي كانوا يعتبرونها أمجاداً لهم بعد معرفتي بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية، والتي أكدها لي المرحوم الأستاذ سيد قطب من أن عبد الرحمن السندي والدكتور محمد خميس – والذي كان وكيلاً للجمعية في عهد الأستاذ حسن الهضيبي – وأن أحد أصحاب المطابع الكبرى والذى كان أحد كبار الإخوان وكان عميلاً للمخابرات الإنجليزية)

وقال علي عشماوي: (ثم تبين أن الهضيبي كان قد أقام مفاوضات خاصة مع الإنجليزي "مستر إيفاتر" وتنازل فيها تنازلات شديدة، وقد قامت الحكومة بنشر هذا الأمر رداً على هجوم الإخوان على الاتفاق المبرم بين الحكومة والإنجليز).

وكذلك كتب الكاتب سامي الزبيدي مقالًا قال فيه: (منذ أول ثلاثينيات القرن الماضي ارتسمت علامات الاستفهام حول علاقة سفارة بريطانيا العظمى بتأسيس "جماعة الإخوان" الذين كانوا يرغبون في أن يكونوا القائمة الرابعة في الكرسي المصري الذي لم يكن ليستقر متأرجحًا بين ثلاث قوائم هي: القصر والوفد والسفارة البريطانية، فكان تأسيس "الإخوان" ضروريًا ليستتب الأمر للبريطانيين في مواجهة الوفد والقصر في قاهرة المعز).

ومعلوم أن الرئيس الأسبق "كارتر" قد كلّف مرشدهم الأسبق عمر التلمساني بمهمة خاصة وهي السعي للإفراج عن الرهائن الأمريكيين في إيران، حيث كان التلمساني على علاقة وطيدة مع السادات ومع إيران.

أما عن بداية العلاقات بين الخميني وجماعة الإخوان، فربما لا يعلم أكثر المنتسبين إلى الجماعة، مدى العلاقة المتينة بين الخميني أو (إيران) وقادة الإخوان، وربما يعلم البعض الآخر ولكنه لا يجد فيها مشكلة ، ويبرر لها أنها علاقة طبيعية كون البعض يقدم السياسة على العقيدة والمصلحة الخاصة على المصلحة العامة للأمة، فقد زار الخميني المقرّ العام للجماعة في "منطقة الدرب الأحمر" في القاهرة، وفق ما ذكره القيادي الإخواني المنشقّ ثروت الخرباوي (١٩٥٧)، في كتابه الموسوم "أئمة الشر: الإخوان والشيعة أمة تلعب في الخفاء"، ٢٠١٣، يقول الخرباوي:

(في تاريخ الإخوان القديم، ورقة ظلّت مخفيّة لا يعرف أحد عنها شيئاً، أذهلتني حين عرفتُها، كانت مخبّأة في أحد دهاليز الجماعة، من دون أن يلتفت إليها أحد، أو يشعر بقيمتها التاريخية. كانت هذه الورقة تحتوي على خبر زيارة لمقرّ الإخوان في مصر، قام بها سيد روح الله مصطفى الموسوي الخميني عام ١٩٣٨، وتشير هذه الورقة إلى أن ثمة لقاء خاصاً تمّ بين المرشد الأول للجماعة الأستاذ حسن البنا والسيد روح الله مصطفى الخميني، الذي أصبح في ما بعد الإمام آية الله الخميني، مفجّر الثورة الإيرانية، ولكن مِمّا يؤسَف له، أنّ أحداً من الذين عاصروا هذه الواقعة لم يدوِّن أحداثها ووقائعها، على الرغم من أنّ زيارات أخرى قامت بها شخصيات شيعية شهيرة لمقرّ الإخوان في منطقة الدرب الأحمر، وصلت إلينا أخبارها وبعض تفاصيلها".

أما من سيتساءل: أين المشكلة في هذه الزيارة؟ فالإجابة طويلة، ملخصها أن المؤسس الحقيقي للجماعة ولثورة الخميني هو بريطانيا العظمى، وذلك لاستخدامهم كأوراق لها في إشعال الفتن في الشرق الأوسط، وهذا ما حدث فعلاً فيما يسمى بالربيع العربي.

فإن كان يقال: إن من قدر هذه الأمة أن يحكمها إما الجيش أو قريش، فإن قريشاً حكمت فعلاً قرابة ستة قرون، وها هو العسكر يحكم منذ قرابة قرنٍ وأثبت فشله في رفع الأمة إلى

مصاف الدول العظمى وتوحيدها والدفاع عنها، لذا فمن الطبيعي إذاً أن ينتهي هذا النظام من الوجود و يُزاح عن الحكم، ليعود حكماً قرشياً ولكن من نوع آخر، يختلف عن المرحلتين: الأموية والعباسية.

هذا الحكم القادم سيكون متمثلاً بالخلافة المقدسية وعاصمته القدس، نظاماً جديداً لا للحركات العلمانية ولا الشيوعية ولا الرأسمالية ولا التي تلبس عباءة الدين أي مكان فيه، بل خلافة منهجية ختامية كما شرحتها في كتابي: "الخلافة المقدسية" والتي تنتهي بالمهدي.

ولكن قبل أن يقع كل هذا، وحتى تنتهي هذه الحقبة الزمنية من حكم الجبابرة والطغاة كما سماهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلابد من أحداث ستشكل صدمة لكثير من المسلمين والعرب والعالم عموماً، يتخللها حروب كبرى سبق أن سميناها بالنطحة الثانية، ويسميها الغرب النصراني واليهودي بهرمجدون.

فلم يبقَ لها إلا بعض الأعمال التي يسعى الصهاينة للقيام بها، وفقاً لما يعتقدون، ومنها ما يسمونه بالبناء الثالث للهيكل المزعوم بعد أن يقوموا برجسة الخراب، وهي هدم المسجد الأقصى، قبل بدء حرب هرمجدون التي ينتظرونها من قِبل جيش الشمال كما في كتبهم، والذي يقصدون به الجيش الروسي وحلفائه، لكي تقوم حرب هرمجدون استعداداً لنزول الملك الداودي الذي سيحكمهم في ألفية خالدة على حدّ زعمهم.

ولكي يتم لهم ذلك، كان لابد من القيام برحلة من التخطيط لإهلاك العرب وإدخالهم في فتن داخلية وورطات اقتصادية على مراحل، كل دولة بحسب ظروفها، ثم توريطهم في حرب مع دولة الفرس.

فهم يخططون لتدمير أهم ثلاث دول عربية حتى يغرقوا جيوشها وشعوبها في المهالك، فهم يخططون لمصر، والتي لا يستطيع جيش في العالم السيطرة عليها لما تملكه من شعب صبور مقاتل كثير العدد، فكانت الخطة البديلة التي لابد من التفكير بها من غير أن يخسر اليهود جندياً

واحداً، وذلك من خلال مخططات عديدة، هي أن يصلوا الى ما يسمح ببناء سد على منابع نهر النيل في أثيوبيا، يكون فيه التهديد الأكبر لأي اعتراض مصري على قرار إزالة معوقات بناء الهيكل الثالث في القدس.

أما بالنسبة لسورية فيكون إهلاكها بالحروب الطائفية عبر تسليط حاكم له عقيدة تسمح بإهلاك هذا البلد الغني، وهو ما وقع للأسف.

ويكون إهلاك العراق بفتن مذهبية وطائفية وإشغاله بها ونهب ثرواته التي لا يملك مثلها أي بلد في العالم، وهذا أيضاً قد حدث للأسف.

ثم ومن أجل إشغال الدول الإسلامية القوية أيضاً من غير العرب، كانت خطة إشعال الفتنة والحروب بين الأكراد وتركيا من جانب، و بين الأمازيغ والعرب في دول المغرب وشمال أفريقيا.

وتبقى الجزيرة العربية لتكون هلكتها كما يُخطط لها، على يد الأعاجم الفرس، بعد توريطها بحرب مع دولة الفرس الطامعة في احتلال الأماكن المقدسة، وهذا شيء معلن غير مخفي في عقيدتهم وتصريحات كبار مسؤوليهم على المستويين السياسي والديني، والنتيجة ضرب الدولتين وإفراغ الميدان للعلو اليهودي الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة الإسراء.

لذا ومن هنا نفهم الآيات الكريمة التي تحذر من دسائس ومكائد اليهود، والتي تحذر أيضاً من ولايتهم، وتخبرنا بأنهم لن يرضوا حتى نتبع ملتهم، والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة.

بل ومن هنا أيضاً، نفهم تحذيرات نبينا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من الفتن والغثائية وتولي الظلمة والرويبضات، ومن الهلكة العامة للعرب حين قال: ويل للعرب من شر قد اقترب.

# قريش بين القرآن والسلطان

ذكرت في ما سبق أن الخلافة في قريش، وأن هذا هو قدر الأمة، ومن هنا لابد أن أنوه إلى مسألة توضح وتؤكد أن هذا هو قدر الأمة، وتكشف لماذا كانت شخصية المهدي ختامية وعالمية، وما هو سرّ كونها من آل البيت ومن نسل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وعندما يقال عن مسالة إنها قدرٌ مقدورٌ، وإنها أمر رباني ووصية نبوية، فهنا لابد من التحذير من الاعتراض على هذه المسألة حتى لا يدخل المسلم في رفض ما اختاره الله تعالى، فيقع في المخاطر، قال تعالى:

**{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} الأحزاب ٣٦**.

والحقيقة أن هناك معادلتين لا يعرفهما كثير من الناس:

**الأولى**: هي أن القرآن والسلطان سيفترقان.

**والثانية**: هي أن آل البيت والقرآن لن يفترقا.

فالقرآن و"سلطان آل البيت: أي الخلافة" لن يفترقا، بل سيجتمعان مهما افترقا افتراقاً مؤقتاً، هذا إن افترقا أصلاً، وكون الخلافة في قريش قدراً مقدوراً ووصية نبي الأمة صلى الله عليه وسلم لأمته، التي علم من الله تعالى بأنها ستتقاتل على هذا السلطان، ولن تسلم لقريش في كثير من مراحلها المختلفة زمانياً ومكانياً، فإن هذه الوصية لا تعني بالضرورة العصمة من الوقوع في الأخطاء، وإنما هي نسبة وتناسب ومقياسٌ يُقاس به حال الأمة، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: **الناس تبعٌ لقريش في هذا الشأن، مُسلمهم تَبَع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم.**

والآن ما الدليل على أن السلطان والقرآن يفترقان؟ أي سيكون على الأمة حكام لا يحكمون بالقرآن، ثم ما الدليل على أن القرآن وآل البيت لا يفترقان؟ والمقصود كما ذكرت كنسبة وتناسب ومقياس على حال الأمة، وليس في كل الأحوال.

الدليل هو ما رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية بسند فيه ضعف أنه ﷺ قال: **خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً فِي الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ؛ يَمْنَعْكُمُ الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.**[1]

إذاً فإن رحى الإسلام دائرة، لن تتوقف الا عند نزول المسيح ﷺ، ولن يصلح هذه الأمة أي نظام مستحدث: (علماني – ليبرالي – ديمقراطي – اشتراكي – رأسمالي ....الخ)، فما من نظام إلا وسيفترق صاحبه أو قائده عن القرآن، وعندها سيختل ميزان الأمة.

أما إذا كان السلطان في قريش فهي إذاً وصية نبي الله ﷺ، لأن القرآن ثقل ثقيل، وقريش لها ثقل في الأمة، إذاً هما ثَقَلان، القرآن أحدهما وهو الأثقل، وقريش الآخر، وعندها بحسب المقياس تقاس الأمة، لأن الخلافة ستكون ميزان الأمة الذي تقاس فيه، والدليل على ذلك، حديث الثقلين، وسأذكره بكل رواياته مع التخريج حتى لا يقع المسلم في الشك.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول اللَّهِ ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكَّة والمدينةِ، فحَمد اللَّهَ وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثمَّ قال:

---

[1] قال الهيثمي في مجمع الزوائد: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ مَرْثَدٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذٍ، وَالْوَضِينُ بْنُ عَطَاءٍ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ " .

﴿أَمَّا بعدُ. أَلا أَيُّها النَّاس، فإنَّما أَنا بشرٌ يوشِك أَن يأْتِي رسول ربِّي فأُجيبَ، وأَنا تاركٌ فيكم ثَقَلَينِ أَوَّلهما كتاب اللَّهِ فيه الهدى والنّور، فخذوا بكتاب اللَّهِ، واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب اللَّهِ ورغَّب فيه، ثُمَّ قال: وأَهلُ بيتي، أذَكِّركم اللَّهَ في أَهل بيتي، أُذكّركم اللَّهَ في أَهلِ بيتي، أُذكّركم اللَّهَ في أَهل بيتي. فقال له حُصَيْنٌ: ومَن أَهل بيتهِ يا زيْدُ؟ أَلَيس نساؤُه مِن أَهل بيته؟ قال: نساؤُهُ مِن أَهل بيته، ولكنْ أَهل بيته مَن حُرم الصَّدقة بعدهُ، قال: ومَن هُم؟ قال: هُم آل عليٍّ، وآلُ عقيلٍ، وآل جعفرٍ، وآل عَبَّاسٍ، قال: كلُّ هؤُلاء حُرم الصَّدقة؟ قال: نعم﴾[1]. وهذه روايات الحديث، وانتبه أخي القارئ إلى كلمات: (**الثقلين**، **خليفتين**، **لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**).

١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً:

- **(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)**[2].

- **(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)**[3].

- **(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)**[4].

- **(إني تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جل وعلا وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)**[5].

- **(يا أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما: كتاب الله وأهل بيتي)**[6].

---

[1] رواه مسلم.

[2] رواه الطبراني والبسوي في المعرفة والتاريخ.

[3] رواه الشجري في أماليه بسند صحيح لغيره.

[4] رواه البسوي في المعرفة والتاريخ، والترمذي.

[5] رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الكبير بنحوه.

[6] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي.

- (إني تارك فيكم اثنين: أحدهما كتاب الله فيه حبل الله المتين، ومن اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

٢- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً:

- (إني تارك فيكم خليفتي: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[2].

- (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[3].

- (وإني قد تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[4].

- (إني تركت فيكم الخليفتين: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[5].

- (إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[6].

- (إني تارك فيكم الثقلين من بعدي: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[7].

---

[1] رواه الطبراني في الكبير والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

[2] البسوي في المعرفة والتاريخ.

[3] رواه عبد الحميد في مسنده.

[4] رواه الطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده بلفظ ﴿إني تارك﴾ و﴿حتى يردا علي الحوض جميعاً﴾

[5] رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في الكبير.

[6] رواه الإمام أحمد في مسنده.

[7] رواه الطبراني في الكبير.

- **(إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)**[1].

٣- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً: **(إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله سببه بيد الله وسببه بأيديكم وأهل بيتي)**.[2]

والخلاصة أنه إذا ما تخلت الأمة عن أحد ثقليها فقد اقتربت مما توعد به بين يدي الساعة، كما قال كعب الأحبار رحمه الله: "إِذَا رَأَيْتَ الْعَرَبَ تَهَاوَنَتْ بِأَمْرِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ رَأَيْتَ الْمَوَالِيَ تَهَاوَنَتْ بِأَمْرِ الْعَرَبِ، ثُمَّ رَأَيْتَ مُسْلِمَةَ الأَرَضِينَ تَهَاوَنَتْ بِأَمْرِ الْمَوَالِي، فَقَدْ غَشِيَتْكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ"، قَالَ كُرَيْبٌ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَنَا بِالأَحْمَرَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ إِذَا مُنِعَتِ الأَقْلامُ وَالْوَسَائِدُ. رواه نعيم في الفتن .

والمعنى: إذا رأيت العرب تهاونت بأمر قريش: أي سلبتهم الحكم والخلافة لصالح أي عربي غير قرشي، ثم رأيت الموالي تهاونت بأمر العرب، وهذا ما حدث في التاريخ ويحدث إلى اليوم، ومعناه أنَّ الموالي من الفرس والترك تقدموا على العرب فاستحوذوا بالحكم فيهم، ثم إذا رأيت مُسلمة الأرضين تهاونت بأمر الموالي، ومعناه أنَّ الدائرة دارت حتى أخرجت الحكم من الموالي لصالح من أسلم من أهل الكتاب، فقد اقتربتم من أشراط الساعة، وعلامة ذلك: إذا مُنِعَ قول الحق من أصحاب الاقلام من العلماء والمصلحين، ووسّد الأمر إلى الروييضات، وها نحن اليوم في هذا الزمن.

وهذا ليس فيه أي عنصرية لقريش أو للعرب، بل إن الله تعالى أعلم أين يجعل رسالته وأنبياءه وخلفاءهم، وله الحكمة في ذلك، سبحانه وتعالى.

---

[1] السابق.

[2] خلاصة الأسانيد:

أنه روي عن سبعة من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة وحسنة وضعيفة، حتى بلغ حد التواتر.

ملاحظة: جميع التخريجات السابقة من كتاب ﴿الزهرة العطرة في حديث العترة﴾ لأبي المنذر سامي بن أنور خليل المصري الشافعي. وقد اخترت منها ما هو صحيح أو حسن فقط، ومن أراد المزيد فعليه بالكتاب.

أما إن سأل سائل فقال: لماذا الخلافة في قريش؟

فالإجابة: إن الوصية لا تعني العصمة، ولن يخلو زمان من قرشي أهلٌ للخلافة، بدليل حديث الثقلين، كما سبق. فعن معاوية رضي الله جلاله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين**. رواه البخاري، وقال الإمام ابن حجر رحمه الله في "الفتح": (أي لا ينازعهم أحد في الأمر إلا كان مقهوراً في الدنيا مُعذباً في الآخرة). وهذا ضمانٌ للناس بتكفّل الله تعالى بنصرةِ قريش، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قام جماعة من غير قريش بالخلافة فمن يكفل نصرتهم؟

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**. رواه البخاري.

قال في "فتح الباري": (قال ابن هبيرة: يحتمل أن يكون على ظاهره وأنهم لا يبقى منهم في آخر الزمان إلا اثنان أمير ومؤمر عليه والناس لهم تبع. قلت: في رواية مسلم عن شيخ البخاري في هذا الحديث "ما بقي من الناس اثنان" وفي رواية الإسماعيلي "ما بقي في الناس اثنان وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى" وليس المراد حقيقة العدد، وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش ويحتمل أن يحمل المطلق على المقيد في الحديث الأول ويكون التقدير لا يزال هذا الأمر، أي لا يسمى بالخليفة إلا من يكون من قريش إلا أن يسمى به أحد من غيرهم غلبة وقهراً وإما أن يكون المراد بلفظ الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض...).

فإن كان المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش، فهذا أمرٌ بالوصية لهم بالخلافة ولا يجوز انتزاعها منهم، وإن كان خبراً، فمن باب أولى أيضاً عند منازعتهم لها، لأنه لن ينالها — أي الخلافة — إلا قُرشيٌّ، بدليل النص نفسه.

فإن قيل: ولكن منهم الصالح والطالح، أُجيب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا تقدموا قريشاً فتضلوا ولا تأخروا عنها فتضلوا، خيار قريش خيار الناس، وشرار قريش شرار الناس،**

**والذي نفس محمد بيده، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لخيارها عند الله أو ما لها عند الله.** رواه ابن ابي شيبة في مصنفه، وعن أبي هريرة رضي الله جلاله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الناس تبعٌ لقريش في هذا الشأن، مُسلمهم تَبَع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم.** متفق عليه.

وهذا ما علمه الصحابة رضوان الله عليهم ورضوا به وأجمعوا عليه، وهذا ما كانوا عليه في سقيفة بني ساعدة، فقد صحّ في مسند الإمام أحمد: (أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما ذهبا إلى سقيفة بني ساعدة حين اجتمع الأنصار لاختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكلّم أبو بكر ولم يترك شيئًا أنزل في الأنصار وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا ذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار. ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فَبَرُّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب البيت ونحن فيه فقال: **الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقًا ولكم عليهم حقًا مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.** رواه أحمد والطبراني والبيهقي وغيرهم، وصححه العراقي.

قال الإمام ابن حزم في "الفصل": (وهذه رواية الأئمة من قريش. جاءت مجيء التواتر رواها أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومعاوية وروى جابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت معناها)، وقال ابن حجر في الفتح: (قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيًا لما بلغني أن بعض فضلاء العصر ذكر أنه لم يرد إلا عن أبي بكر الصديق).

**ومن خصائص قريش أيضاً:**

نصرة الله لهم على من يعاديهم: فعن معاوية رضي الله عنه أيضاً أنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين**). رواه البخاري

وعن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**من يُرد هوان قريش يُهِنهُ الله**) رواه ابن أبي شيبة.

الصدق والأمانة: عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال: جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال: (**هل فيكم من غيركم، قالوا: لا إلا ابن أختنا ومولانا وحليفنا، فقال: ابن أختكم منكم، ومولاكم منكم، وحليفكم منكم، إن قريشاً أهل صدق وأمانة، فمن بغى لهم العواثر كبَّه الله على وجهه**) رواه ابن أبي شيبة.

رجاحة الرأي: عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: (**إن للقرشي مثل قوة رجلين من غير قريش**). قيل للزهري: ما عنى بذلك؟ قال: نُبلُ الرأي.

الدعاء لهم: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (**يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى، وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار**) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لقريش فقال: (**اللهم كما أذقت أولهم عذاباً فأذق آخرهم نوالاً**) رواه ابن أبي شيبة.

**الإجماع على أن الخلافة في قريش:**

وقد حكاه غير واحد من العلماء، قال الإمام النووي رحمه الله عند حديث (الناس تبع لقريش): (هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث

الصحيحة). وقال القاضي عياض رحمه الله فيما نقل عنه النووي قوله: (اشتراط كونه – أي الإمام – قرشيًا هو: مذهب العلماء كافة. قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، وقال: ولا اعتداد بقول النّظّام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه: يجوز كونه من غير قريش....). وقال: وقد عدَّها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد منهم فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا). وممن قال بهذا الإجماع أيضًا: الماوردي في الأحكام السلطانية – ابن خلدون في مقدمته – الغزالي في فضائح الباطنية – وأبو بكر الباقلاني في الإنصاف، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله جلاله. .... وممن قال بعدم اشتراط القرشية: الخوارج وبعض المعتزلة ..كما ذكر الشهرستاني في الملل والنحل .

**أما ما جاء في فضل العرب وقريش :**

فقد ألف ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى رسالة سماها "مبلغ الأرب في فخر العرب" وذكر فيها الأحاديث الواردة في فضل العرب والنهي عن بغضهم مما قد يكون قريباً مما ذكرت، وإليك بعض هذه الأحاديث:

روى الحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة.**

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.** قال الهيثمي: وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا، وقال الهيثمي في مبلغ الأرب: حديث سنده لا بأس به، وإن تكلم الجمهور في غير واحد من رواته.

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل، فقسم الناس قسمين، فقسم العرب قسماً، وقسم العجم قسماً، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليمن قسماً، وقسم مضر قسماً، وقسم قريشاً قسماً، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير ما أنا منه.** قال الهيتمي في مبلغ الأرب: سنده حسن.

وروى مسلم وغيره عن واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.**

وأخرج الترمذي والحاكم عن سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: **يا سلمان؛ لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله! قال: تبغض العرب فتبغضني**[1].

وأخرج الحاكم والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني.**

---

[1] قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: قابوس بن أبي ظبيان تكلم فيه

# الدور العالمي الختامي للمهدي

# (من عالمية الخلافة إلى عالمية تسليمها للمسيح ﷺ)

بعد العرض السابق للموضوع، أعتقد أن الأمر أصبح أكثر وضوحاً للقارئ، ولمزيد من الأدلة، وربطاً بين العالمية والختامية للمهدي، نقدم هذه الأدلة:

**أولاً – عالمية الجهاد** (**المهديُّ قائد الطائفة المنصورة**):

قال ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**).

فالمهدي قائد مجاهد، يفتح الله على يديه الأرض بعد أن يقاتل الروم وغيرهم من أعداء الله تعالى ممن هم في زمنه. قال ﷺ: (**هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي**)[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (**لا يفتح القسطنطينية ولا الديلم ولا الطبرستان إلا رجل من بني هاشم**)[2]. وكل هذا من الجهاد العالمي الختامي كما كان في عهد الخلفاء الراشدين.

وقال ﷺ: (**تجيش الروم على وال من عترتي، اسمه يواطئ اسمي، فيُقبلون بمكان يقال له العماق، فيقتتلون، فيُقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك، ثم يقتتلون يوماً آخر فيُقتل من**

---

[1] أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، وذكره العلامة يوسف بن يحيى المقدسي في كتابه "عقد الدرر في أخبار المنتظر" بتحقيق الشيخ مهيب البوريني، ص ٧١. وهو ضعيف.

[2] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

**المسلمين نحو ذلك، ثم يقتتلون اليوم الثالث فتكون على الروم فلا يزالون حتى يفتتحوا القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون فيها بالأترسة إذ أتاهم صارخ أن الدجال قد خلفكم في ذراركم)**[1]. وهذا أيضاً من أدلة عالمية جهاد الإمام المهدي.

**ثانياً – عالمية خلافة المهدي:**

يكتسب المهدي هذه العالمية في الخلافة من كونه آخر خلفاء النبي المبعوث للعالمين ﷺ، ومن جانب آخر من كونه يفتح الأرض ويملؤها عدلاً، ثم يسلمها لنبي الله عيسى ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: **(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية)**[2].

قال صاحب حاشية السندي: "قوله: (حتى يملك رجل) حمل على المهدي الموعود به والقسطنطينية بضم قاف.. اسم مدينة في بلاد الروم، وفي الزوائد في إسناده قيس بن الربيع ضعفه أحمد وابن المديني وغيرهما، وقال أبو حاتم: ليس بقوي محله الصدق، وقال العجلي: كان معروفاً بالحديث صدوقاً، وقال ابن عدي: رواياته مستقيمة والقول فيه أنه لا بأس به".

**ثالثاً – المهدي تكرمة للأمة:**

قال ﷺ: (.. **فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**).

يخبر النبي ﷺ أن عيسى بن مريم ﷺ حين نزوله، يعرض عليه المهدي أن يصلي بهم إماماً، ولكنه يقول إن بعض هذه الأمة أمراء على بعض، تكرمة من الله تعالى لهذه الأمة، والأمير

---

[1] أخرجه الخطيب البغدادي في "المتفق والمفترق" عن الحسن بن أبي بكر المذكور. أنظر كتاب "الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى"، وائل إبراهيم محمود العسود، ص ٢٤٢ – ٢٤٧.

[2] رواه ابن ماجة وأبو نعيم

وقتها هو المهدي، فكأن إمامة المهدي للمسلمين هي من تكرمة الله تعالى للأمة، ولا شك أن هذه التكرمة من صلحاء نسل نبي هذه الأمة ﷺ.

**رابعاً – السيادة العالمية للمهدي:**

قال سيدنا عليّ ونظر إلى ابنه الحسن رضي الله عنهما: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ﷺ يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق"[1].

وعن الأعمش عن أبي وائل قال: نظر علي إلى الحسن فقال: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً"[2].

والسيد كما قال في لسان العرب: والسَّيِّدُ يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ وَالْمَالِكِ وَالشَّرِيفِ وَالْفَاضِلِ وَالْكَرِيمِ وَالْحَلِيمِ ومُحْتَمِل أَذى قَوْمِهِ وَالزَّوْجِ وَالرَّئِيسِ والمقدَّم، وأَصله مِنْ سادَ يَسُودُ فَهُوَ سَيْوِد، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لأَجل الياءِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا ثُمَّ أُدغمت. وَفِي الْحَدِيثِ: لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّداً، فَهُوَ إِن كَانَ سَيِّدَكم وَهُوَ مُنَافِقٌ، فَحَالُكُمْ دُونَ حَالِهِ وَاللَّهُ لَا يَرْضَى لَكُمْ ذَلِكَ.

ومن هذه الأوصاف ما يصح وينطبق على الحسن رضي الله عنه، فهو الشريف الفاضل الكريم الحليم الذي احتمل أذى قومه.

---

[1] رواه أبو داود والترمذي، وقال المنذري في تحفة الأحوذي: قال المنذري: هذا منقطع، أبو إسحاق السبيعي رأى علياً عليه السلام رؤية.

[2] ذكره السيوطي في العرف الوردي وقال: أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

## التسليم والاستلام العالمي بين المهدي والمسيح ﷺ:

قال رسول ﷺ: (**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**، ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء:١٥٩])[١].

### أولاً: المسيح ﷺ حاكماً للأمة:

قال في فتح الباري: "قوله: (ليوشكن) أي ليقربن، أي لا بدَّ من ذلك سريعاً. قوله: (أن ينزل فيكم) أي في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله. قوله: (حكماً) أي حاكماً، والمعنى أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة. وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم "**حكماً مقسطاً**" وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب "**إماماً مقسطاً**" والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر. ولأحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: (**أقرِئوه من رسول الله السلام**). وعند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: و(**يمكث عيسى في الأرض أربعين**) سنة. وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل: (**ينزل عيسى ابن مريم مصدقاً بمحمد على ملته**). قوله: (فيكسر الصليب ويقتل الخنزير) أي يُبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس، لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه.. ووقع للطبراني في "الأوسط" من طريق أبي صالح عن أبي هريرة: (**فيكسر الصليب ويقتل الخنزير والقرد**) زاد فيه القرد وإسناده لا بأس به، وعلى هذا فلا يصح الاستدلال به على نجاسة

---

[١] رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

عين الخنزير لأن القرد ليس بنجس العين اتفاقاً، ويستفاد منه أيضاً تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل. ووقع في رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عند مسلم: **(ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد)**".

**ثانياً: إيمان النصارى به ﷺ:**

قال في الفتح: "قوله: (ويضع الحرب) في رواية الكشميهني "الجزية"، والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة، ويكون كثرة المال بسبب ذلك.

وتعقبه النووي وقال: الصواب أن عيسى ﷺ لا يقبل إلا الإسلام. قلت: ويؤيده أن عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: **(وتكون الدعوى واحدة)** قال النووي: ومعنى وضع عيسى ﷺ الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى ﷺ لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى ﷺ بناسخ لحكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا ، قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى ﷺ للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى ﷺ فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم.

قوله: (ويفيض المال) أي يكثر، وفي رواية عطاء بن ميناء المذكورة وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد، وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة.

قوله: (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) أي: إنهم حينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة، لا بالتصدق بالمال، وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها. وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري بهذا الإسناد في هذا الحديث: (حتى تكون السجدة واحدة لله رب العالمين).

### ثالثاً: الرد على من أنكر نزول المسيح ﷺ:

قوله: ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: {**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**}: هو موصول بالإسناد المذكور، قال ابن الجوزي: إنما تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها لقوله: حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا.

والسجدة تطلق ويراد بها الركعة، قال القرطبي: معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد. قوله في الآية: (وإن) بمعنى ما، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله: إلا ليؤمنن به وكذلك في قوله: قبل موته يعود على عيسى ﷺ، أي إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال قبل موت عيسى: والله إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره. ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالاً أخر وأن الضمير في قوله: "به" يعود لله أو لمحمد ﷺ، وفي "موته" يعود على الكتابي على القولين، وقيل على عيسى ﷺ.

وروى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس: "لا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بعيسى ﷺ، فقال له عكرمة: أرأيت إن خرّ من بيت أو احترق أو أكله السبع قال: لا يموت حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى ﷺ" وفي إسناده خصيف وفيه ضعف.

ورجح جماعة هذا المذهب بقراءة أبي بن كعب {إلا ليؤمنن به قبل موتهم} أي أهل الكتاب. قال النووي: معنى الآية على هذا ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أَمَتِه، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة كما قال تعالى: {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن} قال: وهذا المذهب أظهر لأن الأول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى، وظاهر القرآن عمومه في كل كتابي في زمن نزول عيسى وقبله.

**الحكمة من نزول المسيح ﷺ:**

قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل: إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله، والأول أوجه.

وروى مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في مدة إقامة عيسى ﷺ بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين، وروى نعيم بن حماد في "كتاب الفتن" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن عيسى ﷺ إذ ذاك يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة، وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة يقيم بها أربعين سنة، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعاً.

وفي هذا الحديث: ينزل عيسى ﷺ عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات - وقال في آخره - ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة ليهلن ابن مريم بفج الروحاء بالحج والعمرة الحديث ، وفي رواية لأحمد من هذا الوجه: (**ينزل عيسى فيقتل الخنزير ويمحي الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما، وتلا أبو هريرة: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به}** الآية.

قال حنظلة قال أبو هريرة: يؤمن به قبل موت عيسى. وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه، والأصل فيه قوله تعالى: **{إني متوفيك ورافعك}** فقيل على ظاهره، وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانياً. وقيل: معنى قوله: (**متوفيك**) من الأرض، فعلى هذا لا يموت إلا في آخر الزمان. واختلف في عمره حين رفع فقيل ابن ثلاث وثلاثين، وقيل مائة وعشرين.

## الفصل الرابع

# زمن المهدي

# وسيناريو الأحداث

## تمهيد:

إن مما شجع كثيراً ممن ادعى المهدوية، عدم معرفة الناس بحقيقة زمن المهدي، وبالعلامات والأحداث التي تسبق ظهوره، وما يزال إلى اليوم، إلى تاريخ تدوين هذا الكتاب، يظهر بين الحين والآخر من يدعي المهدوية، ثم سرعان ما يظهر له أتباع يُصدّقونه ويؤمنون به، وقد ذكرت سابقاً أن من أسباب تصديق هؤلاء الدجاجلة، ظهور الفتن والمحن والمعاناة التي يمرون بها في ظروف قاسية، فينتظرون الذي يخلصهم منها، كما يتعلق الغريق بالقشة.

لذا من المهم أن نذكر تفصيلاً واضحاً عن زمن المهدي والعلامات التي تسبقه، حتى لا ينخدع الناس بكل ناعق مدّعٍ، فيقعون في الفتن، وربما ينجرون إلى قتال محرم فيقتلون مسلمين بغير ذنب، فيصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تعودوا كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)**[1].

إن زمن المهدي يختلف كلياً عن الزمن الحالي الذي نحياه، فلا يقاس ما نحن فيه الآن من نظام عالمي، ومن صراعات الأمم، وتحكم القطب الواحد، والحدود المصطنعة بين الدول العربية، وتعطيل الجهاد، وكثرة الناس، وغيرها من الظروف الراهنة المعروفة للجميع، كل هذا لا يقاس على زمن المهدي، والذي ينقسم إلى أربع مراحل:

**الأولى:** مرحلة بلوغ الفتن والفساد والظلم إلى قمة القمم: وتبدأ بعلامات ما قبل تولي المهدي لمنصب الخلافة، وهي: فتنة الدهيماء، وفتنة ذهب الفرات، والفتنة الغربية لأصحاب الرايات الصفراء، وخلو الأمة من قائد، وتفشي الفساد والخبائث.

**الثانية:** مرحلة إنهاء الصراع الداخلي، هي مرحلة السفياني، وفيها العلامة العالمية وهي الخسف بجيش في منطقة البيداء، ثم البيعة للمهدي في الحرم المكي.

**الثالثة:** مرحلة انتقال المهدي إلى بيت المقدس، وتولي الخلافة وعقد ألوية الجهاد، وقتال الروم والترك والعجم، وفيها تنعم الأمة بالخير والبركة.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

**<u>والرابعة</u>:** هي مرحلة الأشراط الكبرى للقيامة، وتتسم بالمعجزات، كظهور الدجال، ثم المسيح عيسى ﷺ، ثم يأجوج ومأجوج، الدابة، وخروج الشمس من المغرب.

ولنبدأ بعون الله تعالى بسرد علامات هذه المراحل الثلاث وأدلتها:

**العلامات السابقة للمهدي:**

سأسوق أولاً ما ذكره الإمام محمد بن رسول البرزنجي في كتابه "الإشاعة لأشراط الساعة" حيث جمع العلامات في سرد مختصر، ثم سأفصّل أهم تلك العلامات بالأدلة، قال البرزنجي: "وأما العلامات الدالة على قرب خروجه:

- فمنها أنه ينشق الفرات فينحسر عن جبل من ذهب.

- ومنها أنه ينكشف القمر أول ليلة من رمضان، والشمس ليلة النصف منه، وهذان لم يكونا منذ خلق الله السماوات والأرض.

- ومنها خسوف القمر مرتين في شهر رمضان، وهذا لا ينافي الأول، كما هو واضح.

- ومنها طلوع القرن ذي السنين.

- ومنها طلوع نجم له ذنب يضيء.

- ومنها ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليل أو سبع ليال.

- ومنها ظهور ظلمة في السماء.

- ومنها حمرة في السماء، وتنشر في أفقها، وليست كحمرة الأفق.

- ومنها نداء يعمُّ جميع أهل الأرض، ويسمع أهل كل لغة بلغتهم.

- ومنها خسف قرية بالشام يقال لها: حرستا.

- ومنها منادٍ ينادي من السماء باسم المهدي، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب حتى لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه، وهذا غير الصوت الآتي بعد خروجه كما مر.

- ومنها عصابة في شوال، ثم معمعة في ذي القعدة، ثم حرب في ذي الحجة، ونهب الحاج، وقتلهم حتى تسيل الدماء على جمرة العقبة. (والمعمعة: صوت الحرب واليوم الشديد الحر، والمراد منها الفتن).

- ومنها أنه يكون اختلاف، وزلازل كثيرة، ومنها أنه ينادي مناد من السماء: ألا إن الحق في آل محمد ﷺ، وينادي مناد من الأرض: ألا إن الحق في آل عيسى وآل العباس، وأن الأول نداء الملك، والثاني نداء الشيطان.

- ومنها ما يأتي مما نذكره من الفتن الواقعة قبل ظهوره)[1].

[1] الإشاعة للإمام البرزنجي، ص: ١٨٢- ١٨٣ – ١٨٤.

## المرحلة الأولى: مرحلة ظهور الفتن

### أولاً- فتنة الدهيماء:

يسبق المهدي فتنة كبيرة، هي أكبر فتنة حتى ذلك الزمان، وهي فتنة الدهيماء، وهي الفتنة الرابعة كما في بعض الروايات، التي لا تدع أحداً إلا لطمته، وتستمر حتى ينهيها الله تعالى على يد المهدي، وهي التي تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، فلا يجد الرجل ملجأ منها، وتكثر فيها الزلازل والخسوفات، ويعظم فيها الفساد والمعاصي، وتصبح الأمة وكأنها في انقطاع من الزمان، ويذهل العلماءُ فيها عن ذِكر الدجال، وحتى يقال لا مهدي، وتظهر السنوات الخداعات، ويكثر القتل والكذب، ويفشو الجهل، ويصبح للقيّم الواحد خمسين امرأة يلذن به من قلة الرجال، وغيرها من الصفات التي تتصف بها فتنة الدهيماء، وأدلة ذلك:

**زمن فتنة الدهيماء:**

وهي الفتنة الرابعة من الفتن الكبرى في الأمة، ويكون زمنها بعد فتن الأحلاس والسراء، وتتوافق زمنياً مع أحداث فتنة ذهب الفرات.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً: (**يكون في آخر الزمان أربع فتن، يكون في آخرها الفناء**)[١].

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: (في الإسلام أربع فتن، تسلمهم الرابعة إلى الدجال الرقطاء والمظلمة وهنّة وهنّة)[٢]. وهذا الفناء الذي يسبق ظهور المهدي.

---

[١] رواه أبوداود.

[٢] رواه نعيم بإسناد حسن.

**من صفاتها:**

**١- خلو الأمة من الجماعة:**

قال صلى الله عليه وسلم: (**تكون في أمتي أربع فتن، تصيب أمتي في آخرها فتن مترادفة: فالأولى: يصيبهم فيها بلاء، حتى يقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف. والثانية: حتى يقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف. ثم الثالثة؛ كلما انقطعت تمادت. والفتنة الرابعة: يصيرون فيها إلى الكفر إذا كانت الأمة مع هذا مرة ومع هذا مرة ومع هذا مرة؛ بلا إمام وجماعة، ثم المسيح، ثم طلوع الشمس من مغربها، ودون الساعة اثنان وسبعون دجالًا، منهم من لا يتبعه إلا رجل واحد**)[1]. قلت: والفتنة الرابعة هنا هي الدهيماء التي تسبق المهدي، لأن المهدي قبل المسيح صلى الله عليه وسلم.

**٢- تبدأ من الشام:**

وهي فتنة لعب الصبيان التي تبدأ من الشام، ثم يظهر في آخرها المهدي: فعن سعيد ابن المسيب رضي الله عنه قال: (تكون فتنة بالشام، كان أولها لعب الصبيان، ثم لا يستقيم أمر الناس على شيء، ولا تكون لهم جماعة حتى ينادي مناد من السماء: عليكم بفلان - أميركم فلان - وتطلع كف تشير)[2]. قلت: وهذا ما كره البرزنجي آنفاً، وهو ما يتوافق مع الروايات السابقة واللاحقة أيضاً.

## ثانياً- فتنة ذهب الفرات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر، لا يبقى بيت من العرب والعجم إلا ملأته ذلاً وخوفاً، تطيف بالشام، وتغشى بالعراق، وتخبط بالجزيرة

---

[1] رواه نعيم في الفتن.

[2] رواه نعيم في الفتن.

بيدها ورجلها، تعرك الأمة فيها عرك الأديم، ويشتد فيها البلاء حتى ينكر فيها المعروف، ويعرف فيها المنكر، لا يستطيع أحد، يقول: مه مه، ولا يرقعونها من ناحية إلا تفتقت من ناحية، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ولا ينجو منها إلا من دعا كدعاء الغرق في البحر، تدوم اثني عشر عاماً، تنجلي حين تنجلي وقد انحسرت الفرات عن جبل من ذهب، فيقتتلون عليها حتى يقتل من كل تسعة سبعة). وهذا أيضاً ما ذكره البرزنجي، ويتوافق مع الروايات.

وعن علي رضي الله عنه قال: (الفتن أربع: فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة كذا فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من عترة النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم)[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ستكون بعدي فتن، منها فتنة الأحلاس، يكون فيها حرب وهرب، ثم بعدها فتن أشد منها، ثم تكون فتنة، كلما قيل: انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت إلا دخلته، ولا مسلم إلا صكته، حتى يخرج رجل من عترتي**)[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (**كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هَرَبَ وَحَرَب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده**)[3].

---

[1] رواه نعيم بن حماد في الفتن.

[2] رواه نعيم في الفتن.

[3] رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ومعلوم أن المهدي قبل الدجال، إذاً فالمهدي في مرحلة الفسطاطين، قبيل ظهور الدجال، كما في هذا الحديث.

قال في عون المعبود: " (ثم فتنة الدهيماء): وهي بضم ففتح والدهماء السوداء والتصغير للذم أي الفتنة العظماء والطامة العمياء. قاله القاري. وفي النهاية: تصغير الدهماء، الفتنة المظلمة، والتصغير فيها للتعظيم وقيل أراد بالدهيماء الداهية.

(لا تدع أحداً إلا لطمته لطمة): أي أصابته بمحنة ومسته ببلية، وأصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف، والمراد أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها.

(فإذا قيل انقضت): أي فمهما توهموا أن تلك الفتنة انتهت (تمادت): بتخفيف الدال أي بلغت المدى أي الغاية من التمادي وبتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد أي استطالت واستمرت واستقرت قاله القاري.

(مؤمناً): أي لتحريمه دم أخيه وعرضه وماله (ويمسي كافراً): أي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك.

(إلى فسطاطين): بضم الفاء وتكسر أي فرقتين، وقيل مدينتين، وأصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال قاله القاري.

(فسطاط إيمان): بالجر على أنه بدل وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي إيمان خالص. قال الطيبي: الفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها يجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وإضافة الفسطاط إلى الإيمان إما بجعل المؤمنين نفس الإيمان مبالغة وإما بجعل الفسطاط مستعاراً للكنف والوقاية على المصرحة أي هم في كنف الإيمان ووقايته. قاله القاري.

(لا نفاق فيه): أي لا في أصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله.

(لا إيمان فيه): أي أصلاً أو كمالاً لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك. (فانتظروا الدجال): أي ظهوره)[1].

**قلت**: وهذا الحديث الصحيح يُبيّن بأنه بين الدجال وآخر فتنة – التي هي الدهيماء – تَشكُّل فسطاطين للناس، أحدهما للمؤمنين، والآخر للمنافقين، ومعلوم أن المهدي قبل الدجال بسبع سنوات، إذاً فالمهدي بعد فتنة الدهيماء. ويدل على ذلك عدد من الأحاديث، والتي تذكر أن المهدي يكون بعد اختلاف وفتن وهرج بين الناس، وأنه يكون بعد انقضاء أربعة فتن، ويكون في آخرها أمور تسبق ظهور المهدي، وأن الأمة تنعم بخير وفير، ويبدل الله على يديه الظلم بالعدل.

## لا ملجأ من فتنة الدهيماء لفشوها في الأمة:

وقولي آنفاً إنه لا يجد الرجل منها مَخرجاً ولا ملجأ، هو ما ذكره سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، فعن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (كتب إلي أمير المؤمنين حين ألقى الشام بوانية بثنية وعسلا – وشك عفان مرة قال حين ألقى الشام كذا وكذا – فأمرني أن أسير إلى الهند، والهند في أنفسنا يومئذ البصرة، قال: وأنا لذلك كاره، قال: فقام رجل فقال لي: يا أبا سليمان اتق الله فإن الفتن قد ظهرت.

قال: فقال: وابن الخطاب حي؟! إنما تكون بعده، والناس بذي بليان وذي بليان بمكان كذا وكذا فينظر الرجل فيتفكر هل يجد مكاناً لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو فيه من الفتنة والشر **فلا يجده**. قال: وتلك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة أيام الهرج، فنعوذ بالله أن تدركنا وإياكم تلك الأيام)[2].

إذاً فمن صفات فتنة الدهيماء التي تسبق المهدي، أنها تعم المسلمين حتى لا يجد الرجل مكاناً أفضل مما هو فيه.

---

[1] عون المعبود شرح سنن أبي داود

[2] قال الحافظ في الفتح: أخرجه أحمد والطبراني بسند جيد، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة.

**ثالثاً– كثرة الزلازل:**

ولا أتكلم عن زلازلٍ قليلة أو صغيرة متفرقة، بل هي من الكثرة حتى تصبح ظاهرة كونية يعلمها جميع الناس، بل هي سنوات مميزة حتى أن النبي ﷺ أطلق عليها اسم: **"سنوات الزلازل"**، وذلك بعد نزول خلافة آخر الزمان في بيت المقدس، وأدلة ذلك:

وقال ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض**). رواه البخاري

وقال ﷺ: (**يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**).

وقال ﷺ: (**وبين يدي الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل**).

وقال رسول الله ﷺ: (**أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً. قال له رجل: ما صحاحا؟ قال: بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غناء، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: أنا. فيقول: إئت السدان – يعني الخازن – فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً. فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حجره وائتزره ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد ﷺ أو عجز عني ما وسعهم. قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده. أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده**)[١].

---

[١] قال في مجمع الزوائد: رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات.

## **رابعاً– انقطاع الزمان، وحتى يقال لا مهدي:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "يبعث الله تعالى المهدي بعد إياس، وحتى يقول الناس: لا مهدي، وأنصاره ناس من أهل الشام، عدتهم ثلاث مائة وخمسة عشر رجلاً، عدة أصحاب بدر، يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا، فيبايعونه كرهاً، فيصلي بهم ركعتين صلاة المسافر عند المقام، ثم يصعد المنبر"[1].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً**)[2].

## **خسف حرستا:**

وحرستا هي اليوم مدينة في ريف دمشق، يصيبها خسف في آخر الزمان قبل زمن المهدي، فعن أبي رومان عن علي رضي الله عنه قال: إذا اختلف أصحاب الرايات السود بينهم كان خسف قرية بإرم يقال لها حرستا وخروج الرايات الثلاث بالشام عنها. رواه نعيم في الفتن.

وهذه الرايات تكون قبل ظهور المهدي، وقد شرحت ذلك في كتاب "الخلافة المقدسية" بما يغني عن التكرار هنا.

وعن محمد بن الحنفية رحمه الله قال: (يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق، فبينما هم ينظرون في أعاجيبه إذا رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخل مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق)[3].

---

[1] رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، وسنده ضعيف بسبب عنعنة الوليد بن مسلم فيه، وفيه أبان بن الوليد بن عقبة مجهول.

[2] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

٣ أخرجه نعيم في الفتن بإسناد حسن إلى ابن الحنفية.

## المرحلة الثانية: مرحلة أول ظهور المهدي، وإنهاء الصراع الداخلي

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع، تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات، والمال كدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي، أعطني، فيقول: خذ**)[1].

**بيعة المهدي بعد جيش الخسف (خليفة):**

فإذا علمنا أن المهدي يأتي بعد انتشار فتنة الدهيماء والهرج الشديد الذي لا يجد المسلم فيه مخرجاً ولا ملجأ يلجأُ إليه، كما قال ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي – أو من أهل بيتي – يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً**)[2].

وفي هذه الأثناء تكون فتنة السفياني قد ظهرت وأخذت تتمادى، وانتشر بطش السفياني وقتله في الأمصار، حتى يأتيه نبأ الهاشمي الذي جاء من جهة خراسان رايته سوداء، يريد إنقاذ أهله والمسلمين من بطش السفياني في الحجاز والعراق والشام.

**ما جاء عن خراسان والبيداء:**

عن ثوبان رضي الله عنه قال: "إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً، فإن فيها خليفة الله المهدي"[3].

وقال رسول الله ﷺ: (**ستكون بعدي بعوث كثيرة فكونوا في بعث خراسان ثم انزلوا مدينة مرو فإنه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة ولا يضر أهلها سوء**)[1].

---

[1] رواه ابن ماجة والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وقال الهيتمي: رجاله ثقات.

[2] رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في الحلية، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[3] رواه أحمد والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وبعد فشو أمر السفياني وذلك بعد البطشة الكبرى على الأرض، وانتشار الثلج على سطح الأرض كاملة نتيجة الدخان الذي غطى الشمس وبالتالي حجب حرارتها لمدة أربعين يوماً، تبدأ مرحلة لجوء المهدي إلى الحرم المكي، لتبدأ بعدها أشهر علامة قبيل ظهور المهدي وهي الخسف في البيداء[2].

وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته، وقال أبو جعفر هي بيداء المدينة**)[3].

وعن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (**ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم**)[4].

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (**يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم**)[5].

جاء في فتح الباري: (قوله: (يغزو جيش الكعبة) في رواية مسلم: عَبِث النبي ﷺ في منامه، فقلنا له: صنعت شيئاً لم تكن تفعله، قال: **العجب أن ناساً من أمتي يؤمون هذا البيت لرجل من قريش**، وزاد في رواية أخرى أن أم سلمة قالت: ذلك زمن ابن الزبير، وفي أخرى أن عبد الله بن صفوان أحد رواة الحديث عن أم سلمة قال: والله ما هو هذا الجيش.

---

[1] قال الماوردي في فيض القدير: ... قال الهيتمي: في إسناد أحمد والأوسط أوس بن عبد الله، وفي إسناد الكبير حبان بن مصك، وهما مجمع على ضعفهما، وقال في الميزان: حديث منكر، ومن ثمة أورده ابن الجوزي في الموضوع، لكن تعقبه ابن حجر بأن الصواب أنه حسن، وبريدة هذا هو ابن الحصيب الأسلمي من مشاهير الصحابة، وليس بريدة بن الحصيب غيره.

٢ تم شرح هذه المرحلة بالتفصيل في روايتي "البطشة الكبرى" وكتابي "الخلافة المقدسية وهما موجودان على موقع الباحث المقدادي

٣ رواه مسلم وغيره.

[4] رواه مسلم وغيره.

٥ أخرجه البخاري وغيره.

قوله: عَبِث النبي ﷺ في منامه ، أي اضطرب بجسمه.

قوله: (ببيداء من الأرض) في رواية مسلم "بالبيداء" وفي حديث صفية على الشك، وفي رواية لمسلم عن أبي جعفر الباقر قال هي بيداء المدينة. والبيداء: مكان معروف بين مكة والمدينة.

قوله: (يخسف بأولهم وآخرهم) زاد الترمذي في حديث صفية: "ولم ينج أوسطهم" وزاد مسلم في حديث حفصة: "فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم" وأستغني بهذا عن تكلف الجواب عن حكم الأوسط وأن العرف يقضي بدخوله فيمن هلك أو لكونه آخِراً بالنسبة للأول وأولاً بالنسبة للآخِر .

قوله: (وفيهم أسواقهم) كذا عند البخاري، جمع سوق وعليه ترجم، والمعنى أهل أسواقه، أو السوقة منهم.

وقوله: "ومن ليس منهم" أي: من رافقهم ولم يقصد موافقتهم. ولأبي نعيم من طريق سعيد بن سليمان عن إسماعيل بن زكريا: "وفيهم أشرافهم"، وفي رواية محمد بن بكار عند الإسماعيلي: "وفيهم سواهم" وقال: وقع في رواية البخاري: "أسواقهم" فأظنه تصحيفاً، فإن الكلام في الخسف بالناس لا بالأسواق.

قلت: بل لفظ: "سواهم" تصحيف فإنه بمعنى قوله ومن ليس منهم فيلزم منه التكرار، بخلاف رواية البخاري. نعم أقرب الروايات إلى الصواب رواية أبي نعيم، وليس في لفظ: "أسواقهم" ما يمنع أن يكون الخسف بالناس، فالمراد بالأسواق أهلها أي: يخسف بالمقاتلة منهم ومن ليس من أهل القتال كالباعة، وفي رواية مسلم: " فقلنا: إن الطريق يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر – أي: المستبين لذلك القاصد للمقاتلة، والمجبور، أي: المكره – وابن السبيل – أي سالك الطريق – معهم وليس منهم، والغرض كله أنها استشكلت وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة، فوقع الجواب بأن العذاب يقع عاماً لحضور آجالهم، ويبعثون بعد ذلك على نياتهم.

وفي رواية مسلم: **يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى** وفي حديث أم سلمة عند مسلم: فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟

قال: **يخسف به، ولكن يبعث يوم القيامة على نيته** أي: يخسف بالجميع لشؤم الأشرار ثم يعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده، قال المهلب: في هذا الحديث أن من كثَّر سواد قوم في المعصية مختاراً فالعقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شربة الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: ويبعثون على نياتهم، وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي من ضرورة البشرية، ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته.

وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: "**إن ناساً من أمتي**" والذين يهدمونها من كفار الحبشة. وأيضا فمقتضى كلامه أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها). انتهى النقل من فتح الباري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم)**[١].

وهذه طائفة من روايات الحديث:

- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **(يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم قيل يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)**[٢].

---

١ رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

٢ رواه مسلم.

– عن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول (**ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم**)[1].

– عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يأتي جيش من قبل المشرق يريدون رجلاً من أهل مكة حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم يصيبهم مثل ما أصابهم، فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان مُستكرها؟ قال: يصيبهم كلهم ذلك ثم يبعث الله كل امرئ على نيته**)[2].

– عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (**يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون**)[3]. قال أبو داود: قال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم سبع سنين.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام، فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير إليه رجل من قريش أخواله كلب فيهزمهم الله**﴾[4].

---

١ رواه مسلم.

٢ رواه الإمام أحمد.

٣ رواه أبو داود والطبراني في الأوسط.

٤ رواه أبو داود والحاكم وابن حبان بسند صحيح

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (**المحروم من حرم غنيمة كلب ولو عقالاً والذي نفسي بيده لتباعن نساؤهم على درج دمشق حتى ترد المرأة من كسر بساقها)**[1]

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (يخرج السفياني والمهدي كفرسي رهان فيغلب السفياني على ما يليه والمهدي على ما يليه)[2].

والخلاصة أنه يبعث السفياني إلى المهدي بمكة جيشاً، فإذا أتوا البيداء ونزلوها في ليلة مقمرة، أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول: يا ويح أهل مكة ما أصابهم، فينصرف إلى غنمه، ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خُسف بهم، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة؟!

فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها، وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها فلا يطيقها، فيعرف أنه قد خُسف بهم، فينطلق إلى صاحب مكة (المهدي) فيبشره فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام[3].

يقع الخسف بجيش السفياني فلا ينجو منهم أحد إلا رجل واحد، يحول الله وجهه إلى قفاه، فيمشي كمشيته كان مستوياً بين يديه[4].

في هذه الأثناء، تنقطع التجارات والطرق وتكثر الفتن، فيخرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض ما جاء بكم؟

فيقولن جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته.

فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له:

---

١ رواه الحاكم بسند صحيح.

٢ رواه نعيم بن حماد في الفتن.

٣ رواه نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن.

٤ رواه نعيم عن أرطأة بإسناد حسن.

أنت فلان بن فلان؟

فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار.

حتى يفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به، فيقال هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة.

فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة، فيطلبونه بمكة.

فيصيبونه فيقولون:

أنت فلان بن فلان وأمك فلانة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا وقد أفلتَّ منا مرة فمد يدك نبايعك.

فيقول: لست بصاحبكم، أنا فلان بن فلان الأنصاري، مروا بنا أدلكم على صاحبكم حتى يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن فيقولون:

إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من جرم.

فيجلس بين الركن والمقام، فيمد يده فيبايع له، ويلقي الله محبته في صدور الناس، فيسير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل[١].

## خطبة المهدي في بمكة المكرمة:

يظهر المهدي بمكة عند العشاء[٢]، ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه، وعلامات ونور وبيان، "فيقول: هذه العلامات التي كنتم تخبرون"[٣]، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول:

---

١ رواه نعيم بن حماد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، بسند ضعيف.

٢ رواه نعيم في الفتن عن أبي جعفر.

٣ هذه الجملة رواها نعيم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند حسن.

أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً على الهدى، ووزراً على التقوى.

فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته.

## مبايعة السفياني للمهدي:

يسمع[1] المهدي بالخسف، فيخرج من مكة خلف أصحابه، ويمشي في إزار ورداء، معه اثنا عشر ألفا، فيهم الأبدال، حتى ينزلوا إيلياء (القدس)، في هذه الأثناء، يسمع أهل الشام بجيش الخسف، فيقولون للسفياني: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك[2].

فيقول السفياني: لعمرو الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض، إن هذا لعبرة وبصيرة، فيأتي السفياني بيت المقدس، فيقول: أخرجوا إليّ ابن عمي حتى أكلمه، فيؤدي إليه الطاعة فيبايعه.

## السفياني يرجع في بيعته:

ثم يخرج حتى يلقى قبيلة كلب، وهم أخواله، فيعيرونه بما صنع ويقولون: ما صنعت انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له؟ كساك الله قميصاً فخلعته؟

فيقول ما ترون؟ ما أصنع؟ لقد أسلمني الناس؟ أستقيله البيعة؟

فيقولون: نعم، فإنا معك فاستقل ببيعتك.

فيأتي السفياني إلى إيلياء، فيقول: أقلني.

فيقول المهدي: إني غير فاعل.

---

١ رواه نعيم عن محمد بن علي بإسناد ضعيف.

٢ رواه نعيم عن علي رضي الله عنه بإسناد ضعيف.

فيقول: بلى.

فيقول له: أتحب أن أقيلك؟

فيقول: نعم.

فيقيله ثم يقول: هذا رجل خلع طاعتي[1].

## معركة المهدي مع السفياني:

يقبل المهدي من مكة[2]، والسفياني من الكوفة نحو الشام، كأنهما فرسا رهان، فيسبقه السفياني فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، بعد أن خُسف بالبعث الأول.

فيلقون المهدي بأرض الحجاز، فيبايعونه بيعة الهدى، ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز، فيقيم بها، ويقال له: انفذ، فيكره الحجاز ويقول: أكتب إلى ابن عمي (في رواية ابن عمتي)، فإن يخلع طاعته فأنا صاحبكم.

فإذا وصل الكتاب إلى السفياني، سلم له وبايع، وسار المهدي حتى ينزل بيت المقدس، فلا يترك المهدي بيد رجل من الشام فترا من الأرض إلا ردها على أهل الذمة، ورد المسلمين جميعاً إلى الجهاد.

فيمكث في ذلك ثلاث سنين، ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة، يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي السفياني فيقول:

بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت بايعت عدونا، لتخرجن فلنقاتلن.

فيقول السفياني: فيمن أخرج؟

فيقول: لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك ولا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف.

---

١ هذا الحوار مزجته من ثلاث روايات أخرجها نعيم، منها الحسن ومنها الضعيف.

٢ رواه نعيم بسنده إلى أرطأة بسند حسن.

فيرحل وترحل معه عامر بأسرها، حتى ينزل بيسان، ويوجه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل، (وفي رواية عن الزهري: يخرج المهدي من مكة بعد الخسف في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً عدة أهل بدر)[١].

فينزلون على فاثور[٢] إبراهيم، فتصفّ قبيلة كلب خيلها وإبلها وغنمها، فإذا تشامت الخيلان ولت كلب أدبارها، (وفي رواية الزهري: فيلتقي هو وصاحب جيش السفياني وأصحاب المهدي يومئذ جنتهم البراذع يعني تراسهم كان يسمى قبل ذلك يوم البراذع ويقال إنه يُسمع يومئذ صوت من السماء منادياً ينادي ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي فتكون الدبرة على أصحاب السفياني فيقتتلون لا يبقى منهم إلا الشريد فيهربون إلى السفياني فيخبرونه ويخرج المهدي إلى الشام فيلتقي السفياني المهدي ببيعته ويتسارع الناس إليه من كل وجه وتملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا).

ويُأخذ السفياني، فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا[٣] القنطرة التي على يمين الوادي على الصفا المعترضة على وجه الأرض، عليها يذبح كما تذبح الشاة[٤]، فالخائب من خاب يوم كلب حتى تباع الجارية العذراء بثمانية دراهم.

---

١ رواه نعيم عن الزهري بإسناد حسن.

٢ قال ياقوت الحموي: وأهل الشام يتخذون خوانا من رخام يسمونه الفاثور إبراهيم، الفاثور: الطست أو الخوان من رخام أو فضة أو ذهب.

٣ هو جبل الطور يقع شرقي مدينة القدس. معجم بلدان فلسطين.

٤ في رواية: ﴿يُأتى به أسيرا فيأمر به فيذبح على بلاطة إيلياء عند باب الرحمة﴾، ورواية: ﴿عند باب جيرون﴾.

## المهدي بعد فتح القسطنطينية (قبل الدجال)

وبعد أن تتم البيعة للمهدي، ثم ينصره الله تعالى على الفوضى الداخلية، وجيش السفياني والخوارج، يبدأ بقتال الترك والروم، ثم يقوم بعمل هدنة مع الروم لقتال الترك، ثم عندما ينصرهم الله على الترك يقوم صليبي فيقول انتصر الصليب، فيقوم مسلم فيقتله، فيغدر الروم، فيجمعون تسعة أشهر، وينصر الله المهدي في هذه الملحمة العظيمة مع الروم، ويفتح الله لهم القسطنطينية، ثم يملك المهدي سبع سنوات.

فعن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ قال: (**بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجال في السابعة**)[1].

**سنوات الخير والقحط:**

قلنا بين القسطنطينية والدجال سبع سنوات، هذه السنوات السبع تنقسم إلى مرحلتين، ذكرت الأحاديث هاتين المرحلتين على الشكل التالي:

**المرحلة الأولى: ما قبل سنوات الجوع**: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً، يعني حججاً**)[2].

---

[1] قال الحافظ في الفتح: "وله (أي ابن ماجة) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: "الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر" وله من حديث عبد الله بن بسر رفعه: "بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج الدجال في السابعة" وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ". وقال أبو داود هذا أصح من حديث عيسى. وقال ابن كثير: هذا مشكل اللهم إلا أن يكون بين أول الملحمة وآخرها ست سنين ويكون بين آخرها وفتح المدينة وهي القسطنطينية مدة قريبة بحيث يكون ذلك مع خروج الدجال في سبعة أشهر انتهى. وقال القاري: ففيه (أي في قول أبي داود، هذا أصح): دلالة على أن التعارض ثابت والجمع ممتنع، والأصح هو المرجح، وحاصله أن بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبع سنين أصح من سبعة أشهر انتهى.

[2] رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً، قال: قلت أي شيء؟ قال: سنين، ثم يرسل عليهم السماء مدراراً، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً، وقال: يجيء الرجل إليه، فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل**)[1].

وقال رسول الله ﷺ: (**يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً -يعني حججاً-**)[2].

**المرحلة الثانية: ما بعد سنوات الجوع:**

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت؛ إلا ما شاء الله، قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام**)[3].

**المهدي عند نزول المسيح ﷺ :**

وبعد نزول المسيح ﷺ على المنارة البيضاء، وفك حصار المسلمين، ثم ملاحقة الدجال وقتله، يتسلم المسيح ﷺ قيادة الأمة من المهدي، فبينما هو كذلك إذ يبعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله). رواه مسلم

---

[1] رواه أحمد.

[2] رواه الحاكم في المستدرك.

[3] رواه ابن ماجة، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم

## الفصل الخامس

# مباحث هامة حول المهدي

# الكلام عن المهدي في غير زمانه خيانة

من منطلق ما قاله سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله: "من نزل بأرض تفشى فيها الزنى فحدث الناس عن حرمة الربا فقد خان ".

وبعد أن تبين لنا مما سبق بأننا لسنا في زمن ظهور المهدي، إذاً فإن الواجب أن نتحدث الآن عن أهم العلامات التي تسبق ظهور المهدي مما قد يدركه أهل هذا الزمان، وهذا أهم من أن نتحدث عن المهدي نفسه.

خاصة تلك العلامات التي لابد أن نعرفها حتى نحذر من شرورها ونأخذ كامل احتياطاتنا، من باب اعقلها وتوكل، ومن لم يفعل ذلك فهو المتواكل، لأن الهدي النبوي هو الأخذ بالأسباب الممكنة والمتاحة ثم التوكل على الله والرضا بما يقدّره الله تعالى ويقضيه.

والعلامات التي تسبق المهدي كثيرة كما ذكرنا آنفاً، ولكن في هذه المرحلة المفصلية من أحداث العالم، لابد أن نتحدث عن علامة لها علاقة وثيقة بأهم الأحداث المعاصرة، وأهم الأحداث المعاصرة هي تلك الحرب التي بدأت تأخذ منعطفاً خطيراً على المستوى العالمي بعد الكلام عن سلاح الردع: القنابل والصواريخ النووية.

وأقصد الكلام عن الحرب على أرض أوكرانيا بين الفئتين أوالقوتين العظيمتين: روسيا وحلفائها، وأمريكا وحلفائها.

ويبدو لأكثر المراقبين والمتخصصين بأنها ستنتهي باستخدام الأسلحة النووية لتبيد أكثر من ثلثي العالم، وبدأت تشير التقارير والدراسات العالمية عن فناء أكثر من خمسة مليارات إنسان.

وكل هذا بعلم الله تعالى، وهو يوافق ما لدينا من دراسات حول فناء أكثر البشرية قبل زمن المهدي.

أما الحدث الذي أقصده والذي سيقع قبل ظهور المهدي بحسب ما وصل إلينا هو ما رواه الإمام نعيم بن حماد بسند حسن إلى الامام التابعي ابن سيرين رحمه الله قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة.

من هو الإمام ابن سيرين؟ هو إمام تابعي ثقة كبير القدر محدث وفقيه ومفسر لقي أكثر من ٣٠ صحابياً، وسمع من العديد منهم رضي الله عنهم وعنه، لذا مثل هذا الكلام الذي يعد من الغيبيات لم يكن ليقوله من تلقاء نفسه لولا أنه سمعه من أحد من الصحابة، فيكون بمكانة المرفوع المرسل الصحيح والله أعلم، وهو يشبه ما ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه ولكن بسند ضعيف قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ويموت ثلث ويبقى ثلث.

إذاً .. هناك مقتلة عظيمة، قد تكون هي المقتلة التي تقع بسبب الصراع على كنز نهر الفرات في آخر الزمان، وقد لا تكون كذلك، لأن النسبة تختلف، فهنا قال من كل ٩٠ يُقتل ٧٠، يعني من كل ١٠٠ يقتل ٧٧، بينما في صراع كنز الفرات يقتل من كل ١٠٠ يقتل ٩٩، فهي مقتلة عظيمة جداً، والفرق قرابة ٢٢ من كل ١٠٠.

عموماً... إذا كان فعلاً أكثر من ثلثي الناس سيموت قتلاً، وهذا ما لم يحدث إلى الآن، فبالشرية اليوم حوالي ٨ مليار، لو قُتل ثلثين فلن يبقى منهم إلا مليار وحوالي ٨٠٠ مليون، والأسلحة الموجودة اليوم في ترسانات الدول النووية قادر فعلاً على إحداث هذه النتائج المرعبة.

ولكن، كم نسبة العرب والمسلمين منهم؟ لو قلنا إن الصين والهند وحدهما الآن حوالي ٣ مليار نسمة، لاشك أن العدد سيكون قليلاً جداً.

إذاً أيهما الأولى؟ الحديث عن المهدي بأن هذا زمنه، أم عن الأحداث الخطيرة التي تسبق المهدي؟ والتي لم تقع بعد حتماً، كما روي أيضاً بسند صحيح عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لا يخرج المهدي حتى تطلع الشمس آية.

فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما تلك الأسلحة المستخدمة التي يمكن أن تقتل أكثر من ثلث البشر، والثلث الثاني من الكوارث الطبيعية؟

فإن كانت الإجابة عن هذا السؤال قديماً محيرة، فاليوم نستطيع الإجابة عنه بسهولة، بعد وجود الأسلحة الكيماوية والنووية والهيدروجينية والتي تسمى أسلحة الدمار الشامل.

سواء تم استعمالها في قتال أممي أو بسبب خطأ أو بسبب زلزال في مكان فيه مفاعل نووي.. إلخ فالنتيجة واحدة.

وهناك عملية حسابية بسيطة يمكن أن تقرب لنا الصورة، قد نستطيع من خلالها معرفة من أكثر الناس هلاكاً؟ فإذا كان فيها خطأ ما، فلعلها تكون بذرة لمن يحب مسائل الحساب.

أولاً- دعونا نتفق على ما رواه الإمام مسلم أنه ﷺ قال: **تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**.

فإذا اتفقنا أن الروم المقصود بهم أوروبا فحسب، وخصوصاً تلك الدول الممتدة على ساحل البحر المتوسط من مدينة القسطنطينية واليونان إلى إيطاليا ثم الأندلس، حيث إن هذه الأماكن وحدها التي ورد فيها روايات بأنها ستفتح في آخر الزمان، وهي الدول التي لا تمتلك السلاح النووي فلا هي ستضرِب ولا هي ستُضرب – على أغلب الظن – والله أعلم.

فإذا كان عدد سكان أوروبا الآن مع عدد سكان روسيا قرابة ٨٥٠ مليون نسمة، وبلا روسيا حوالي ٧٠٠ مليون، فإن هذا يعني أن ما يقارب أقل من نصف عدد سكان الصين وحدها أو الهند، كل واحدة منهما حوالي مليار ونصف.

من المعروف اليوم أن أكثر الناس هم الصين وليس الروم، ثم الهند بعد الصين، أو العجم عموماً، مع العلم أن عدد سكان الولايات المتحدة مع أوروبا ومعها روسيا وكندا واستراليا يكاد يقترب من عدد سكان الصين لوحدها، قرابة مليار ونصف، وهذا يعني أن الروم اليوم ليسوا اكثر الناس.

ولكن في آخر الزمان الروم وحدهم من غير الروس ولا العرق التركي عموماً، أكثر من الصين ومن الهند ومن العرب ومن العجم كما في الحديث، إذاً ما الذي غيَّر هذه الأعداد بين أعراق البشر؟

إذاً.. كما في الأثر: يُقتل من كل تسعة سبعة .. يعني لا يبقى من الـ ٨ مليارات سوى: مليار و٨٠٠ مليون فقط، وعملياً وبالأرقام التقريبية:

أولاً.. عندها لن تكون الصين ولا الهند أكثر الناس، مع وجودهم بين الناس، فهذا قد يعني أن الهند والصين سيبيدون بعضهم، بما أن بينهم عداء تاريخياً ومستقبلياً، وهذا مجرد احتمال، وكذلك لو حدثت حرب بين الصين وروسيا كما تقول نبوءاتهم.

ثانياً.. إذا كان عدد جيش كلٍّ من بريطانيا مثلاً أو فرنسا حوالي ٢٠٠ ألف مقاتل، ومع الاحتياط يبلغ حوالي ٤٠٠ ألف، وإذا ما جندوا كل من يستطيع حمل السلاح سيصل العدد إلى حوالي ٧٥٠ ألفاً تقريباً، وألمانيا أكثر من ذلك بقليل، بينما أمريكا عدد أفراد جيشها حوالي ١,٥ مليون، ومع الاحتياط حوالي ٢,٥ مليون، إلى ٤ مليون.

ومعلوم أن الروم سيجمعون لمدة ٩ أشهر لكي يقاتلوا المسلمين في الملحمة الكبرى زمن المهدي فلا يستطيعون جمع مليون مقاتل، وهذا من الروم كلهم وبعد مدة ٩ أشهر من الإعداد والجمع، لأنهم سيأتون تحت ٨٠ راية، وتحت كلِّ راية ١٢ألف مقاتل، فهذا يعني أنهم لن يصلوا إلى ما تستطيع فرنسا وبريطانيا وحدهما جمعهم في أسبوع في زمننا المعاصر، فهما يستطيعان جمع أكثر من مليون ونصفٍ من المقاتلين في غضون شهر مثلاً.

هذا وهم أكثر الناس، إذاً: أين ذهبت هذه الجيوش؟ هل من المعقول أن أوروبا قاطبة لا تستطيع جمع مليون جندي في أكبر ملحمة مفصلية؟ مع أنهم بحسب الحديث أكثر الناس عدداً، أي إنهم أكثر من الصين والهند.

وفي دليل آخر، فإن الروايات تقول بأن الهند سيفتحها في آخر الزمان بعض المسلمين، عددهم أقل من عدد الروم، وبالتالي جيشهم أقل أيضاً من مليون، إذاً أين المليار ونصف هندي ؟ وكذلك الصين نفس الشيء؟

بل وحتى اليهود، وهم اليوم حوالي ١٢ مليوناً، لن يستطيعوا جمع أكثر من ٧٠ ألفاً فحسب عندما سيقودهم الدجال في آخر الزمان، فأين ذهب الباقون؟

إذاً... أعداد البشر في زمن المهدي ستختلف عن هذا الزمن حتماً، وهذا ما يناسب ما رواه ابن ماجة والطبراني وغيرهما عندما قالت أُمُّ شَرِيكٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمْ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام.**

**الخلاصة**... نحن بحاجة لفهم أحداث زماننا الآن، فهذا أهم وأولى من أن نتحدث عن زمن المهدي، فلا ندري هل من البشر اليوم من سيدرك زمانه؟ علينا أن نتحدث عن المهدي بوصفه مسألة علمية شرعية عقدية، وليس بوصفه قضية زمنية قريبة كانت أو بعيدة.

# لن يظهر المهدي حتى يكتمل عدد الدجاجلة

معلوم من الأحاديث النبوية بأن قرابة الثلاثين دجالاً سيظهرون ويدعون النبوة، وهذا العدد يبدأ من زمن النبوة وينتهي بزمن الدجال، ليكون الدجال هو آخرهم.

إذاً ما لم يكتمل العدد المشار إليه في الأحاديث، فلا انتظار لظهور المهدي، والأدلة على ذلك:

روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه أنه ﷺ قال: **وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ قُمْتُ أُصَلِّي مَا أَنْتُمْ لَاقُونَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمْ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ. إذن عرفنا أن العدد ثلاثين وأن آخرهم الدجال.**

وفي رواية البخاري: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.**

قال الحافظ ابن حجر: وَقَعَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ بِالْجَزْمِ، وَفِي بَعْضِهَا بِزِيَادَةٍ عَلَى ذَلِكَ وَفِي بَعْضِهَا بِتَحْرِيرِ ذَلِكَ، فَأَمَّا الْجَزْمُ فَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ **وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي.** أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَهُوَ طَرَفٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يَسُقْ جَمِيعَهُ، وَلِأَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثُونَ دَجَّالًا كَذَّابًا** وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عِنْدَ أَحْمَدَ نَحْوُهُ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ نَحْوُهُ وَفِي حَدِيثِ سَمُرَةَ الْمُصَدَّرِ أَوَّلُهُ بِالْكُسُوفِ وَفِيهِ: **وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ.** أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَصْلُهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ.

إذاً.. علمنا مما سبق أن العدد هو ثلاثون، وأن كل واحد منهم يزعم النبوة، لأن عموم الدجاجلة الذين لم يزعموا النبوة كثيرون لا حصر لهم، وعلمنا أن آخرهم الدجال، فهل لهم من صفات أيضاً؟

قال في الفتح: وعند الإمام أَحْمَدَ وَأَبو يَعْلَى فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ أَوْ أَكْثَرُ قيل: مَا آيَتُهُمْ؟ قَالَ: يَأْتُونَكُمْ بِسُنَّةٍ لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهَا يُغَيِّرُونَ بِهَا سُنَّتَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاجْتَنِبُوهُمْ.

وأخرج الإمام أَحْمَدُ عَنْ حُذَيْفَةَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ: سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي.

قال في الفتح: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِوَايَةَ الثَّلَاثِينَ بِالْجَزْمِ عَلَى طَرِيقِ جَبْرِ الْكَسْرِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ البخاري: **قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ**.

**الخلاصة:** إنهم قريب من ثلاثين، منهم أربعة نسوة، يزعمون النبوة ويأتون ببدع من عندهم. ولكنه ﷺ يلفت نظرنا بقوله: (**كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**). وقال مرة: (**كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**)، إذاً هناك دجاجلة غيرهم ولهم أتباع أيضاً ولكنهم لا يدعون النبوة، كما روى الإمام مسلم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

**يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ.**

فهؤلاء أمثال القادة والزعماء الذين يفتنون الناس وكذلك من زعماء السياسة والفكر، أو المتاجرين بالدين والشعارات الشعبية وغيرهم، كما روى أبو يعلى أن علياً رضي الله عنه قال لابن سبأ: وَيْلَكَ، إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا، وَإِنَّكَ لَأَحَدُهُمْ.

قال ابن حجر: وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثِ عَلِيٍّ عِنْدَ أَحْمَدَ: فَقَالَ عَلِيٌّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَوَّاءِ (وهو عبد الله بن سبأ) قال: وَإِنَّكَ لَمِنْهُمْ. قال ابن حجر: وَابْنُ الْكَوَّاءِ لَمْ يَدَّعِ النُّبُوَّةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَغْلُو فِي الرَّفْضِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ النُّبُوَّةَ مِنْهُمْ، مَا ذُكِرَ مِنَ الثَّلَاثِينَ أَوْ نَحْوِهَا، وَأَنَّ مَنْ زَادَ

عَلَى الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ يَكُونُ كَذَّابًا فَقَطْ لَكِنْ يَدْعُو إِلَى الضَّلَالَةِ، كَغُلَاةِ الرَّافِضَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَأَهْلِ الْوَحْدَةِ وَالْحُلُولِيَّةِ وَسَائِرِ الْفِرَقِ الدُّعَاةِ إِلَى مَا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ خِلَافُ مَا جَاءَ بِهِ سيدنا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن هل يوجد أمثلة ذكرها النبي ﷺ لكي نقيس عليها حتى نضبط عدد الذين ظهروا؟ لأن الذين زعموا النبوة أيضاً كثر ولا يمكن حصرهم، لأنهم في كل زمان ومكان، كما ظهر الشخص الذي في لبنان منذ أيام، وقد يكون البعض يزعم ذلك لمرض نفسي أو ما شابه، كما قال ابن حجر: ليس المراد من ادعى النبوة مطلقًا؛ فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة.

فهل أمثال هؤلاء يحسبون منهم؟ أم أن الشرط في أن يكون لهم أتباع وشوكة وشهرة؟

الدجاجلة الذين ظهروا:

فِي حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ: **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا مِنْهُمْ: الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ، يَعْنِي مُسَيْلِمَةَ.**

إذاً أول دجالين ظهرا في الأمة وزعما النبوة: الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب.

**فأول** كذاب كان من بني حنيفة من نجد حيث يخرج قرن الشيطان، **والثاني** كان من اليمن، وكان لكل واحد منهما أتباع كثر، ولعل سر قوة العنسي كانت في ضخامة جسمه وقوته وشجاعته، وكان بليغاً في الخطابة، بالإضافة إلى الكهانة والسحر والشعوذة.

ثم في زمن أَبِي بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه ظهر **الثالث**: طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ ثُمَّ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي تلك المرحلة الزمنية تَنَبَّأَتْ أَيْضًا سَجَاحٌ فكانت **الرابعة**، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا مُسَيْلِمَةُ ثُمَّ رَجَعَتْ بَعْدَهُ. فهؤلاء أربعة.

ثم ظهر بعدهم **خامسهم**: المختار بن أبي عُبيد الثَّقفي: كما روى الإمام مسلم عن أسماء بنتِ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما عندما قالت للحجَّاج: أما إنَّ رسول الله صلى الله

عليه وسلم حدَّثنا أنَّ في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأمَّا الكذَّاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخَالك إلا إيَّاه. والمبير: الجبَّار المهْلك، وهو الحجَّاج بن يوسُف الثَّقفي، أما المراد بالكذَّاب الثقفي فهو: المختار بن أبي عُبَيد الثقفي، فقد زعم أنَّ جبريل عليه السلام كان يأتيه بالوحي، كما روى الإمامُ أحمد عن رِفاعة الغسَّاني قال: دخلتُ على المختار، فألقى إليَّ وسادةً، وقال: لولا أنَّ أخي جبرائيل قام عن هذه وأشار إلى أخرى عنده لألقيتُها لك.

ثم ظهر **سادسهم**: ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، بعد ارتقاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ظهر في عُمان وادَّعى النبوَّة وارتدت معه أزد وأبعدوا عمَّال الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكانت هذه القبائل من قبل الإسلام تعتمد على فارس بسبب القرب الجغرافي، وبما أن للفرس عداء ضد الدعوة الإسلامية، فكانوا من المساعدين لمثل هذه الحركات المرتدة كما ساعدوا سجاح من قبل.

ثم ظهر **سابعهم** في زمن عبد الملك بن مروان وهو المدعي: الحارث بن سعيد الدمشقي، وتبعه خلقٌ كثير إلى أن قَتَله عبد الملك، ثم ظهر بعدهم المدعي: إسحاق الأخرس في خلافة أبي العباس السَّفَّاح، وقد نَشَأ بالمغرب، وتعلَّم القرآن، ولم يترك علمًا حتى أتقنه، ثم ادَّعى أنه أخرس تمهيدًا لدعواه النبوَّة، ثمَّ رَحَل إلى أصفهان، ونَزَل بها عشرَ سنين، ثمَّ زعم أنَّ مَلَكَيْن جاءاه بعد خلوة أربعين يومًا، فأيقظاه وغسَّلاه، وسلَّما عليه بالنبوَّة.

ثم ظهر **الثامن** وابنه **التاسع** في المغرب أيضاً: طريف أبو صبيح، وولده صالح بن طريف، ادعيا النبوة في بدايات القرن الثاني من الهجرة، وطريف يقال إنه من أصول يهودية، وابنه صالح بن طريف هو مؤسس الديانة البرغواطية، في منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى. أعلن نفسه نبيًا سنة ٧٤٤م وسمى نفسه «صالح المؤمنين»، واختفى في سن ال٤٧، واعدًا بالعودة المنتظرة. ورُوِي أن صالحاً بن طريف ودرس علم الفلك والتنجيم، واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا، قبل أن يعود إلى قومه. وكان متأثراً بالخوارج الصفرية، والنزاعات الاستقلالية التي انتشرت بانتشار الخوارج بالمغرب جعلته يتخذ توجهاً متطرفاً مستقلاً عن الإسلام، فأخبر قومه أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم. وادعى صالح بن طريف أنه تلقى من الله كتابا باللغة البربرية. وأنه مذكور بقرآن المسلمين

في الآية: (وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

قال ابن خلدون وكان من أهل العلم والخير ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين، وقال في القرطاس كان الضلال الذي شرع لهم أنهم يقرون بنبوته وأنهم يصومون شهر رجب ويأكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات خمساً بالليل وخمساً بالنهار وأن الأضحية واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم وصلاتهم إيماء لا سجود فيها لكنهم يسجدون في آخر ركعة خمس سجدات ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم أن تفسيره بسم الله.

المجموع الآن أصبح تسعة، ثم كان المدّعي **العاشر** هو: بابا عشق، واسمه: إسحاق الفرسودي التركماني، وكان زعيماً دينياً ذا تأثير على أغلب سكان التركمان في الأناضول، خرج على سلاجقة الروم في عهد كيخسرو الثاني، ثم أصبح له فرقة تسمّى البابائية في خراسان، نسبة إلى لقب زعيمها وهو "بابا" أو "البابا" أو كما اشتهر عنه بـ "بابا رسول الله"، وترجع إلى الفرقة العلوية.

ثم ظهر بعده المدّعي **الحادي عشر**: محمد الكتامي الغماري المشهور بابن أبي الطواجين ظهر في عام ٦٢٥ هـ وقاد ثورة بغمارة في غرب الريف بشمال المغرب الأقصى، وكان قد تعلم الكيمياء من والده، وتعلم الشعوذة والحيل، فأصبح له أتباع كثر، ادّعى النبوة وشرع لأتباعه الشرائع، ولقب أبوه بِأبِي الطواجين لِكَثْرَة الأواني الَّتِي كَانَ يستعملها فِي تجاربه، ارتحل إلى سبتة، وَنزل على قبيلة بني سعيد، واستفحل أمره لضعف دولة الموحدين، وكان سبباً في هذا الإضعاف.

أما المدّعي **الثاني عشر** فقد ظهر في الدولة العباسية في أيام المعتمد: وهو بهبود عليه من الله ما يستحق، كان قائد فتنة الزنج الذي أفسد في العراق، وأهان آل الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يدعي أنه أُرسل إلى الخلق فرد الرسالة، وأنه مُطلعٌ على المغيبات.

ثم في خلافة الراضي: كان المدعي **الثالث عشر** محمد بن علي الشلمغاني؛ المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع عنه أنه يدعي الإلوهية، وأنه يحيي الموتى، فقتل وصلب، وقتل معه جماعة من أصحابه.

ثم ظهر **الرابع عشر** في خلافة المستظهر في سنة تسع وتسعين وأربعمئة: ظهر رَجلٌ بنواحي نهاوند، وادعى النبوة وتبعه خلق، فَأُخِذَ وقُتِل. ولم أجد عنه تفاصيل، وهذا ما ذكره ابن كثير وغيره.

ومن أهم من ادعى النبوة وأصبح لهم أتباع كثر إلى يومنا هذا، وهو **الخامس عشر** فيمن ذكرناهم: ميرزا غلام أحمد القادياني، ظهر في الهند زمن الاحتلال البريطاني للهند، وكان أبوه موظفاً في ديوان الحكومة البريطانية، تعلم الفارسية والعربية وقراءة القرآن الكريم، كما الإنجليزية في مدرسة بريطانية، كان موظفاً في محكمة بريطانية، ثم تركها لقلة راتبها، ولاحظ أن الناس لديهم عاطفة تجاه الدفاع عن الدين فقرر خوض هذه التجربة، فدرس كتب النصارى والهندوس، وأظهر نفسه بأنه ناصر للإسلام، وأعلن أنه سيؤلف خمسين كتاباً في الرد على شبهات الهندوس والنصارى، فطلب من الناس أن يتبرعوا له بالمال لكي يطبع هذه الكتب، وبعد أربع سنوات أخرج كتابه: براهين أحمدية، ولكن الناس تفاجؤوا بأنه في هذا الكتاب لم يرد على الشبهات بل ادّعى بأنه المهدي، وفي الأجزاء التالية قام بمدح المستعمر البريطاني وكال إليهم المديح والثناء بأنهم أصحاب نظام صحيح، وأن على الناس الطاعة له، وكان قد تلقى الدعم من الإنجليز لشراء ولائه وإخماد الثورة والجهاد ضدهم في الهند، بعد أن استغلوا فقره وحاجته للمال، فأعلن أنه مجدد الدين، وبعد زيادة أتباعه في الهند أعلن أنه المهدي المنتظر، والغريب أن الناس صدقوه، وإن كان ظهوره في الهند، بل وإن كان من أصل فارسي أو تتاري كما قال هو عن نفسه، وهذه مصيبة من مصائب الجهل، صدقه الناس بأنه المهدي على الرغم أنه ليس قرشياً ولا عربياً ولا هو موجود في البلاد العربية، ثم بعد ذلك زعم أنه المسيح، ثم زعم أنه تجسيد للنبي محمد بن عبد الله، صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً، ثم زعم بأنه أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، بل ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم زعم أنه أوحي إليه بكتاب وسماه: (الكتاب المبين)، وله

حوالي ٨٠ كتاباً من تأليفه مثل حمامة البشرى وغيره، وزعم أن لديه ٣٠٠ ألف معجزة، وأنه يؤمن بالاستنساخ، والناس تصدقه، وهذا دأب الدجاجلة والجهلة إلى اليوم للأسف، فعاقبه الله عقاباً شديداً، فابتلاه بالنجاسة تخرج من فمه، ثم وجدوه ميتاً وسط النجاسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هؤلاء المتنبئون الخمسة عشر هم أبرز من ادّعوا النبوة في فترات وأماكن وظروف مختلفة، وقد ذُكر غيرهم بلا تفاصيل، وأكثر من ذكروا لم يدعوا النبوة بل ادعوا المهدوية، والمهدوية ليست نبوة لذا لم أذكرهم مع هؤلاء المدعين للنبوة، لأن الحديث قال إنهم يدعون النبوة لا المهدوية، ومنهم في العصر الحديث مثلاً، وسأذكرهم حتى لا يُظن أنني لم أسمع بهم من أمثال:

الطبيب صلاح شعيشع في مصر عام ١٩٨٥ وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام، وهو زعم النبوة لكن ليس له أتباع ولا شوكة.

أما محمد بن عبد الله القحطاني الذي ظهر في الحرم عام ١٩٧٩ فهذا زعم المهدوية، وكذلك خليفة رشاد الذي ادعى المهدوية في أمريكا وكان كيميائياً، وأيضا من النساء ثريا منقوش في اليمن وهي باحثة وناشطة سياسية لها عدد من المؤلفات في الفلسفة والدين. يُقال إنها ألفت كتاباً باسم "الجَمعان" وزعمت أن الوحي يتنزل عليها، وكذلك هناك امرأة زعمت أنها الدابة التي ستخرج آخر الزمان، وأمثال هؤلاء كثر.

ومن أطرف من ادعى النبوة في المغرب رَجلٌ تسمى بـ (لا) ، وحَرَّفَ الحديث المشهور: "لا نبي بعدي"، فجعله إخبارًا منه ﷺ بأن (لا) أي: صاحب هذا الاسم نبي بعدي، ويقول: إنّ "لا" في الحديث مبتدأ، ونبي خبره.

وآخر زعم أن اسمه المدثر، وهذا وأمثاله لهم طرائف منذ القدم ذكرها المؤرخون، ومنها أن رجلاً ادعى النبوة أيام المهدي بن أبي جعفر المنصور، فأدخل عليه فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم! قال: وإلى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟ ساعة بعثت وضعتموني في الحبس! فضحك منه المهدي وخلى سبيله.

وفي زمن سليمان بن علي والي البصرة زمن السفاح: ادعى رجل النبوة بالبصرة، فأتي به سليمان بن علي مقيداً، فقال له: أنت نبي مرسل؟ قال: أما الساعة فإني مقيد! قال: ويحك! من بعثك؟ قال: أبهذا يخاطب الأنبياء يا ضعيف؟ والله لولا أني مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم! قال: فالمقيد لا تجاب له دعوة؟ قال: نعم؛ الأنبياء خاصة إذا قيدت لم يرتفع دعاؤها! فضحك سليمان، وقال له أنا أطلقك وأمر جبريل، فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك. قال: صدق الله: فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فضحك سليمان، وسأل عنه فشهد عنده أنه ممرور، فخلى سبيله.

وكذلك في زمن القسري، قال خلف بن خليفة: ادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري، وعارض القرآن؛ فأتي به إلى خالد؛ فقال له: ما تقول: قال: عارضت في القرآن ما يقول الله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر) فقلت أنا ما هو أحسن من هذا: "إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، ولا تطع كل ساحر وكافر". فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة؛ فمر به خلف بن خليفة الشاعر، وقال: إنا أعطيناك العمود، فصل لربك على عود، وأنا ضامن أن لا تعود!.

والشاهد أن هؤلاء وأمثالهم كثر على مر التاريخ، ولم يكن لهم شوكة ولا أتباع، فهؤلاء لا يحسبون من الثلاثين الذين حذر منهم النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كنا قد ذكرنا خمسة عشر متنبئاً و أغفلنا عن خمسة غيرهم مثلاً، فهذا يعني أنه على الأقل ما يزال هناك عشر مدعين للنبوة لم يظهروا بعد، ومعلوم أنه بعد المهدي سيظهر المسيح عليه السلام ليحكم أربعين عاماً، فلن يظهر أحد في زمن المهدي ولا بعده، إذاً لابد أن يظهروا في المرحلة المقبلة، ما قبل ظهور المهدي.

إذاً.. مادام لم يظهر هؤلاء فلسنا في زمن المهدي، وليس هذا هو المهم، ولكن الأهم من هذا أن نتساءل ما هي الظروف التي يظهر فيها أمثال هؤلاء، وكيف أنهم يستغلون جهل البعض، وفقر البعض الآخر، وضيق الناس وظروف معيشتهم القاسية، وتعلقهم بقشة تحمل لهم بشريات الفرج ولو كانت سراباً، ولا يظهر هؤلاء إلا عند ظهور الفتن والأزمات والفوضى، وربما نعلم جميعا أنه في زمن اشتداد مظاهرات وتجمعات الربيع العربي في أكثر من بلد عربي قد ظهر فعلاً بينهم من زعم المهدوية، ومنهم الذي ظهر أحدهم في ميدان رابعة العدوية في مصر.

ومن الملاحظ أن أكثر هؤلاء يظهرون متأثرين بالخوارج أو بالروافض، وفعلاً يوجد اليوم عدد منهم في بعض البلاد العربية، ولكن الأخطر هو من سبق وتحدثت عنه من قبل، وهو الذي سيتسبب في فتنة السراء التي ستتم له البيعة في الحرم كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة والحاكم وغيرهم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ ذكر الْحَبَشَةُ**.. إلخ.

وهذا الرجل لن يبايع إلا بعد أن يظنه الناس أنه المهدي، وإلا لماذا سيبايعونه أصلا؟ لذا قلت إنه هو الذي في حديث فتنة السراء عندما قال صلى الله عليه وسلم: **دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ**.

فما هي الدعوى التي سيزعمها رجل يزعم أنه من آل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ إلا إن كانت دعوى المهدوية، وإلا لماذا سيزعم بأنه من آل البيت إن لم يكن هدفه أن يبايعوه، وبالتالي سيبايعه الناس فعلاً وهم مسرورون بظهور المهدي، خاصة وأن الناس كما ذكرنا قبل قليل في قصة الهند، أغلبهم مهيؤون فعلاً بأنهم في زمن المهدي، وها أنتم ترون من يروجون لهذه الفتنة من غير علم ولا فقه لأحاديث الفتن وأشراط الساعة، ولكن يبدو أن الأمر قدر مقدور.

# لا تنتظروا المهدي

مشاكل الأمة اليوم كثيرة جداً، في السياسة والاقتصاد والثقافة والتجارة والصحة وجيع ميادين الحياة، ولا تكمن الأسباب إلا في ترك مأمور أو فعل محظور، فهي نتائج وعواقب لما كسبت أيدي الناس، وبالتالي فالحلول مطلوبة من هؤلاء الناس أنفسهم، وليس عليهم أن ينتظروا من يأتي بعصاً سحرية ليخلصهم من مشاكلهم ويصلح لهم أمورهم وهم جالسون يتفرجون عليه.

لذا قلت: لا تنتظروا المهدي أن يأتي ليحل جميع مشاكل الأمة وهو يشرب فنجان القهوة، هل تعتقدون فعلاً أن مهمة المهدي أن يصلح كل مشاكل الأمة عربها وعجمها وفرسها وتُركها؟

من خلال متابعاتي لكثير من تساؤلات أكثر الناس في أماكن مختلفة، وجدت أن كثيرون ينتظرونه فعلاً ليحل مشاكلهم الشخصية والمالية والعلمية والمذهبية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وربما الرياضية والفنية والتجارية، وحدث ولا حرج عن خيالات الناس، والعجيب أن هذا كله مطلوب منه في سبع أو ثمان أو تسع سنوات.. تخيلوا.

بينما إذا قرأنا ما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن حقيقة مهام المهدي ودوره فسنجد أشياء مختلفة.

حتى نعلم أن المهدي لو بُعث اليوم فليس من مهامه إصلاح جميع ما أفسده البشر وما زالوا يفسدونه وغير مستعدين للإصلاح وأن يبدأ كل امرئ بنفسه.

ومن هنا نتساءل: لو ظهر اليوم المهدي هل سيستطيع القيام بكل هذه الإصلاحات وحده من غير تهيئة مسبقة للناس وتربية نفوسهم وتزكيتها؟

تعالوا نبدأ بقراءة ما صحَّ من أحاديث عن المهدي لنفهم المراد من ظهوره، ثم نتحدث عن مشاكل الأمة وهل مطلوب منه حلها؟

الحديث الأول روى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**

وروى الإمام مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة.**

وروى الإمام أحمد وغيره أنه ﷺ قال: **أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يُقَسِّمُ الْمَالَ صِحَاحًا. قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِنَاءً، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَقُولُ: أَنَا. فَيَقُولُ: إِئتِ السَّدَّانَ – يَعْنِي الْخَازِنَ – فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا. فَيَقُولُ لَهُ: احْثُ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَابْتَزَرَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَو عَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ. أَوْ قَالَ: ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ.** قال الهيثمي في الزوائد: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ بِاخْتِصَارٍ كَثِيرٍ، وروَاهُ أَحْمَدُ بِأَسَانِيدَ وَأَبُو يَعْلَى بِاخْتِصَارٍ كَثِيرٍ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ.

وروى الحاكم في المستدرك وصححه أنه ﷺ قال: **يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ يُسْمَعْ بَلَاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمُ الْأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتَّى يُمْلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا،** .. إلخ.

إلى هنا نفهم أنه سيكون اختلاف وفرقة بين الناس، وانتشار للفوضى والقتال الداخلي، وليس للناس كبير ولا زعيم ولا حاكم، كما قال التابعي الجليل ابن شوذب رحمه الله عن بعض أصحابه قال: لا يخرج المهدي حتى لا يبقى قيل ولا ابن قيل إلا هلك، والقيل الرأس.

وروى الإمام نعيم في الفتن عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ويموت ثلث ويبقى ثلث.

وروى الإمام أبو داود أنه ﷺ قال: **لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي.**

وروى الإمام الترمذي وصححه أنه ﷺ قال: **لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي.**

والآن تعالوا نبدأ بمشاكل جيل الشباب وأحلامهم أولاً: لاشك أن أغلب جيل الشباب اليوم يحلم بأن يجمع الأموال بسرعة ليعيش حياة الرغد والترف، يبحثون عن المال والشهرة أو المناصب الكبيرة، وجميع متع الحياة، ولكن السؤال: هل يستطيع المهدي أن يحقق ذلك في ٧ أو ٩ سنوات؟ أم ما قرأناه عنه أنه سيأتي لأجل إحياء الجهاد وتوحيد الأمة؟

فهل شباب الأمة جاهز لهذه الرحلة من الجدية والتخشن ويملك الجَلَد والصبر اللازم لتحمل مشاق الجهاد وترك الأهواء الحزبية والطائفية والعرقية والمذهبية؟ ونحن نرى أن أغلب شباب الأمة اليوم بين مشغول بتوافه الأمور من ترفيه ولهو، أو بصراع الفقر والحاجة ومشغول بجمع المال لكي يبني مستقبله ويساعد أهله، أو أخذه الغلو والتطرف فحمل السلاح الذي أعطاه إياه من لا يعرفهم ولا يعرف غاياتهم وأهدافهم، وزجوه في معارك لا يدري لماذا يقاتل فيها ولا من يقاتل؟ من قبل أن يتفقه في الدين ويتعلم فقه الجهاد.

هل هذه الأجيال ستساعد المهدي على النصر أم على الهزيمة لو خرج فيهم الآن وهم على هذه الأوصاف؟ فإن قيل بل سيربيهم أولاً، أقول متى سيربيهم ويجهزهم ويعدّهم للانتصارات، مع العلم أن الله سبحانه وتعالى لم يأذن للنبي ﷺ والصحابة الكرام الأبطال بجهاد القتال إلا بعد إعداد دام لثلاثة عشر عاماً حتى قامت الهجرة النبوية المباركة.

فعن أي تدريب وإعداد نتحدث حين نعلم أن سنوات المهدي ما بين ٧ إلى ٩ سنوات فقط، في أجيال من الشباب هذا حال أغلبهم، ولا نعمم.

ليس من مهمة المهدي أن يصلح ما أفسد الناس في أنفسهم من العقول والصدور والفطرة والأخلاق والمنهج والحكم والعلم والعمل والسياسة والاقتصاد والجهاد ..... إلخ، فهذه لا يصلحها في الناس إلا رب الناس ملك الناس إله الناس سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس بنا بدأ وبنا يختم هذا الامر، فالمهدي شخصية ختامية جهادية مهدوية مجددة على مستوى البيت الداخلي للأمة، وممهدة لاستقبال النبي الذي سيفصل في البيت العالمي بين الشعوب والناس أجمعين من عرب وعجم وروم وترك، ومن أبيض وأسود وأحمر.

فلا يجوز التقليل من مهمة المهدي وجعلها محصورة في تلبية حاجات الناس المادية والاقتصادية، و الانتظار أن يصلح الحياة التي أفسدها الناس بأيديهم في البر والبحر، وأن يجلس لقضاياهم الخاصة والصغيرة التي ابتدعوها وساروا فيها خلف كل ناعق بليغ اللسان دجال.

بل مهمته أسمى وأعظم من كل ذلك، لذا فهو الذي ينتظرنا ولسنا من ينتظره، إنه ينتظر أن يخرج جيل يملك من الوعي والهمة وروح المبادرة والعلم والإيمان الشيء الكثير، ويستحق أن يبعثه الله فيهم ليقودهم إلى التغيير والظفر، بعد أن غيروا هم بأنفسهم وانتصروا على النفس الأمارة بالسوء.

# هل المهدي هو من سيحرر أرض فلسطين؟

لاشك أبداً أن فلسطين ستتحرر من أيدي اليهود، وتقام عليها خلافة آخر الزمان، ولكن هل تحرير فلسطين سيكون على أيدي المهدي؟ أم أنها ستحرر قبله؟

المسلمون يعلمون أن فلسطين ستتحرر، وهذا يعني الانتصار على اليهود المحتلين ومن يناصرهم، إذاً فالنتيجة النهائية معروفة بفضل الله تعالى، ولكن لا نعرف متى وكيف وعلى يد من؟ ومن هنا تنطلق أهمية أن يسأل كل مسلم نفسه: ما دوري أنا في عملية التحرير من حيث موقعي الذي وضعني الله تعالى فيه؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن يشغل بال المسلمين الغيورين على مقدساتهم.

ولاشك أن الانتصار في المعركة يحتاج إلى انتصارات سابقة له، انتصار على النفس والهوى والشيطان، انتصار على اليأس والكسل والتواكل، حتى إذا ما أذن الله تعالى للنصر أن ينزل على المسلمين، كان المسلم جاهزاً للعطاء والتقديم وأهلاً لهذا النصر وما بعده.

ولكن للأسف، فالأسئلة الواردة اليوم من كثير من المسلمين حول بعض الشخصيات المستقبلية، الحقيقية منها والوهمية، بات وكأنه مؤشر لانتظار الناس وبالتالي التكاسل والتواكل وعدم العمل، بسبب عقيدة الانتظار الوهمية وما نتج عنها من تأخير للنصر ومزيد من التراجع والهزائم.

أصبح البعض يسأل: هل من يسمى بفتى النيل أو صاحب مصر له دور في تحرير فلسطين؟ وطبعاً هذه المسميات هي لشخصيات وهمية ليس لها أي وجود، ولم يأت ذكرها في كتب المسلمين نهائياً، بل هي أفكار دخيلة على المسلمين من الأساطير الفارسية والشيعية التي لا أصل لها ولا أساس عند المسلمين، وللأسف تلقفها بعض المستفيدين من المرتزقة والأقلام المأجورة فأعادوا تصنيعها والترويج لها بين المسلمين حتى صدقهم أصحاب الغفلة وباتوا ينتظرون المخلّص الوهمي ويبنون عليه الأساطير.

وللإجابة على هذا السؤال لابد في البداية من مقدمة ضرورية جداً حتى نفهم الحالة النفسية التي تمر بها الأكثرية من الأجيال المعاصرة اليوم من المهتمين بهذه المسائل، ودعونا نستعرض حادثة تاريخية مشابهة لحالنا اليوم:

في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، كان لليهود عقيدة تسمى بالعقيدة الرؤيوية، نسبة إلى الاعتقاد فيما جاء بسفر دانيال وغيره من الأسفار حول نهاية الزمان وظهور الملك المخلّص، ولكن بعد أن يأس اليهود من حدوث هذه المملكة الداودية التي يحلمون بها، خاصة بعد ظهور السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، والذي لم يكن من النسل الذي ينتظرونه، ولم يكن ملكاً جباراً كما ينتظرون، فلم تقف ردة فعلهم على إنكار نبوته وعدم الاعتراف به فحسب، بل قاموا بمعاداته حتى حاولوا قتله كما هو معلوم فرفعه الله تعالى إليه ولم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن شبه لهم.

وبالمقابل ظهرت أيضاً هذه العقيدة الرؤيوية عند المسيحيين، والتي تعتمد على سفر الرؤيا الذي يتحدث أيضاً عن المجيء الثاني للسيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وأهل الملتين كلاهما كانا ينظران إلى أورشليم القدس على أنها المكان الذي سينزل فيه المخلص عند اليهود أو المسيح عند النصارى، مما شكل عند النصارى في ذلك الوقت ما يسمونه بأعداء الرب أو أعداء المسيح، خاصة وأنهم كانوا يعانون من الاضطهاد وعدم السماح لهم بالقيام بعباداتهم ولا بحياتهم الكنسية.

وكانت وقتها الدولة الرومانية تتبنى الوثنية ولا تعترف بالمسيحية، وكان الرومان يضطهدون المسيحيين الذين يرفضون تقديم القرابين إلى القيصر، وكان المسيحيون يتعرضون للقتل بالآلاف في حلبات الصراع الرومانية، مما شكل عند المسيحيين بطبيعة الحال الشعور بعدم الأمان، الأمر الذي تولد عنه نزعة عدائية نتيجة تلك القسوة والاضطهاد، مما ساعد على ظهور حركتي الرهبنة والاستشهاد في المجتمع المسيحي التي سيكون لهما الدور الأكبر فيما بعد في تشكيل عقيدة الحرب المقدسة، والتي ظهرت فيما بعد ونتج عنها الحروب والحملات الصليبية تجاه الشرق، وخاصة تجاه القدس وما حولها.

وهكذا حتى جاء عهد الامبراطور قسطنطين الذي أصدر مرسوم ميلان المشهور في أوائل القرن الرابع للميلاد (٣١٣) والذي اعترف أخيراً بالديانة المسيحية، بل وأصبحت الديانة الرسمية للدولة، بل وقد اعتنق قسطنطين المسيحية، مما خفف على المسيحيين الاضطهاد والقتل، ولكن قبل ذلك – وهنا الشاهد في هذه النبذة التاريخية – وهي أنه في هذه المرحلة، كما ذكرت قبل قليل ظهرت حركتا الرهبنة والاستشهاد، وخلاصة هذه العقيدة أنه كان يُنظر إلى الشهيد المسيحي أنه النموذج المثالي للمؤمن، لدرجة أنهم كانوا يبلغون عن أنفسهم عند السلطات الرومانية لكي يقوموا بإعدامهم لقناعتهم بأنهم بذلك يشاركون في الحرب الكونية المتواصلة ضد الشر، وضد أعداء الرب، وأن كل شهيد يقدم نفسه فهو يساعد في النصر النهائي وتسريع المجيء الثاني للمسيح عليه السلام، وأنه عبارة عن جندي من جنود المسيح، لذا كانوا يرون أنه لكي يكون المسيحي مسيحياً حقيقاً لابدّ من الاستشهاد طوعاً أو كرهاً.

لذا لجأ البعض إلى السكن في الصحراء لممارسة هذه المعتقدات مما أدخل الرهبنة إلى أوروبا في ذلك الزمان، ثم بعد زمن دخلت فكرة الحرب المقدسة، وقام الباباوات في أوروبا بنشر فكرة أن المسلمين يسيئون لقبر المسيح عليه السلام في القدس أو بيت لحم، لذا عليهم القيام بالجهاد المقدس لتحرير قبر المسيح، وقد ساعد على ذلك الجهل والفقر والاضطهاد الواقع على الفلاحين، ولو كان عندهم شيء من العلم لعلموا أن المسلمين لا يعترفون بموت المسيح عليه السلام أصلاً، وبالتالي فهم لا يعترفون بوجود أي قبر له، بل المسلمون في صلب عقيدتهم احترام وتعظيم جميع الأنبياء، ولا يجوز الإساءة إلى أحد منهم عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

طبعاً بالإضافة إلى الجهل فقد كان الفلاحون في ذلك الوقت يسعون هم أيضاً للتخلص من الاضطهاد والعبودية من قبل الأثرياء وكبار القادة وما يسمى بالنبلاء، من الإقطاعيين الذين كانوا يضطهدون الفلاحين في الأرض.

إذاً فإنَّ هذا الجو من الاضطهاد والفقر والجهل والظلم والعبودية، ولّد عند الناس عقائد لم تكن عندهم أساساً، ودخلت فيها الأساطير والخرافات والأحلام، ونسجوا عليها الأحلام بظهور المخلص العادل الذي سيخلصهم من الظلم والبطش.

وهذا الواقع التاريخي من ظلم واستبداد وجهل، بالإضافة إلى المتاجرة بالشعارات الدينية، هو الذي أظهر النتائج نفسها عند العرب والمسلمين، فظهرت الحركات المهدوية في أكثر من مكان، وظهر كهنة التجارة بالخرافات وإلباسها اللباس الديني، وتم استغلال العواطف، وبالتالي استجرار شباب الأمة من هنا وهناك، ليكونوا وقود هذه الحركات المتاجرة بالدين، فهذا تحت اسم المهدي، وذلك تحت اسم الرايات السود، وغيرهم باسم آل البيت والثأر لهم، فأصبح الناس يتبرعون من تلقاء أنفسهم بعد أن سيطر عليهم الجهل والأحلام، فظهرت أجيال أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، ويقولون من كلام خير البرية، يتكلفون في المظاهر والأقوال ليعجب الناس بهم، بل ويعجبون هم بأنفسهم، فيحتقر أحدنا صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم، وكل هذه الأوصاف ذكرها الصادق المصدوق ﷺ.

لقد باعوا عقولهم لتجار الدين والسلطة، لهم عقول لا يفكرون بها، صمٌ بكمٌ عميٌ، هم كالأنعام بل هم أضل، يتفاخرون بالأسماء التي اخترعوها هم وكهنتهم، سلم منهم أعداء الإسلام ولم يسلم منهم المسلمون، في التبديع والتفسيق والتكفير والقتل، باستحلال الدماء والأموال والأعراض، وتعظيم بشر زعموا أن لهم عصمة ما أنزل الله بها من سلطان، وجميع هؤلاء الذين ذكرتهم، والذين يرجعون إلى أكثر من جماعة وحزب وتيار ومذهب وفرقة، هؤلاء لو ظهر الآن المهدي، ورأوا جيش الخسف بأعينهم في البيداء، لقاتلوه واتهموه بالكذب والدجل، لأنهم لن يعجبهم في تواضعه وسماحته وأخلاقه، تماما كما قاتل أحفادهم أجداده من قبل سيدنا علي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، وتماماً كما جاهر اليهود من قبل في العداء ضد نبي الله وكلمته المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم.

وها هي أحاديث نبينا ﷺ بين أيدينا قد حفظها علماء الأمة، كابراً عن كابر، عن الصحابة ثم التابعين، ثم الأئمة الأربعة والحفاظ الأكارم كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

لذا ما الحل؟ الحلُّ أولاً بالعلم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، قليل سؤاله، كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي

زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل. رواه الطبراني وابن عبد البر.

وعن أبي الزاهرية يرفع الحديث: إن الله تعالى قال أبث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم. رواه الدارمي وغيره.

فإن قلت إن العلم قد انتشر، فلا شك أن الجهل والتجهيل والتضليل له أكثر من طريق ينافس طريق الحق والحقيقة، لذا كان الواجب على كل مسلم أن يطلب العلم من منابعه الحقيقية، وليس من مواقع التواصل والمنشورات والرسائل الجاهزة على الفيسبوك والواتساب وغيرها، والتي للأسف باتت تشكل الثقافة الراسخة والمصدر الأقوى للعلم عند كثير من الناس.

هذه المقدمة أعتقد أنها تبين أننا لم ننتصر بعد على أنفسنا كما ذكرت في المقدمة، وبالتالي لسنا في زمن المهدي الذي من المفترض أنه إذا جاء ليقود الأمة لابد أن يجد أجناداً مجندة قادرة على تحمل عبء المسؤولية ومشاق الجهاد، إذاً لا علاقة للمهدي من قريب ولا من بعيد إطلاقاً بتحرير فلسطين، فلا تنتظروه لكي يأتي ويحرر لكم أرضكم ومقدساتكم وأنتم في هذا التقاعس والتمزق، بل استعيدوها بأنفسكم بالقوة كما أُخذت منكم بالقوة، ولمن يطلب الأدلة على ذلك فإليك الآتي:

**أولاً** – لا يوجد أيّ حديث أو أثر صحيح أو ضعيف أو حتى موضوع يشير ولو من بعيد إلى أن المهدي له دور ولو صغير جداً في تحرير القدس من أيدي اليهود، إطلاقاً.

**ثانياً** – إذا قمنا بالنظر في جميع ما صح بشأن المهدي، أو حتى بسند حسن أو ضعيف، لرأينا أنها جميعها تتحدث عن زمن وظروف وأجواء تختلف كلياً عن زمننا وواقعنا، فمثلاً تعالوا نأخذ بعض الأمثلة:

معلوم أن عدد البشر اليوم حوالي ٧ مليارات، والمسلمون حوالي مليارين، والعرب حوالي ٤٠٠ مليون، قال ﷺ: **لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ**

**فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ**. رواه الإمام مسلم وغيره، في رواية عند الطبراني وابن ماجة: **فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ**. .. الحديث. فهل سيتسع بيت المقدس إلى ال٤٠٠ مليون؟ أو جلّهم؟

تعالوا نكمل الحديث حتى نستنبط منه أيضاً فوائد جمّة في موضوعنا، قال: **فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى؛ لِيُقَدِّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ: تَقَدَّمَ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ. فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْتَبِقَنِي بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ وَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى يَتَوَارَى بِهِ الْيَهُودِيُّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ – إِلَّا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ – إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ.**

في هذا الحديث أكثر من دليل: الأول أنه ذكر أن القتال مع اليهود في زمن المهدي والمسيح عليه السلام سيكون بالسيف، الثاني أن اليهود الذين سنقاتلهم هم يهود أصبهان في خراسان وليس اليهود المحتلين في فلسطين، كما قال ﷺ: **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ**. رواه الإمام مسلم.

إذاً هذه إحدى كتائب جيشه، وهم من يهود أصبهان ممن يستطيع حمل السلاح والقتال، ولا يعني هذا أن كل اليهود عددهم ٧٠ ألفاً فقط، لأنه قال يتبع الدجال ٧٠ ألفاً، ولباسهم للطيالسة دليل على أنها حرب مقدسة عندهم، أو حرب دينية، لأن الطيالسة هي لباس التعبد عندهم.

إذاً: عدد المسلمين قليل، وجلهم ببيت المقدس، طبعاً مع قلةٍ في بقية البلاد، فالقتال سيكون بالسيف، وهذا يعني أن الحضارة الحالية قد زالت وزالت معها أسلحتها المتطورة.

وفلسطين محررة من قبل ونزل فيها ستة خلفاء قبل المهدي كما شرحت ذلك في كتابي "الخلافة المقدسية"، واليهود الذين يقاتلهم المهدي ثم المسيح عليه السلام هم يهود خراسان وليسوا اليهود الموجودين في فلسطين.

أضف إلى ذلك أن المهدي لا يعرف هو نفسه أنه المهدي إلا بعد أن يرى علامة الخسف أو يسمع بها، وذلك بعد أن يرسل إليه ملك في الشام جيشاً ليقاتله، كما أخرج الإمام نعيم بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنه قال: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهزمونهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعٍ ينظر إليهم ويعجب ويقول يا ويح أهل مكة ما أصابهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً فإذا هم قد خسف بهم فيقول سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض فيعالجها فلا يطيقها فيعرف أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره، فيقول صاحب مكة: (يعني المهدي) الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام.

هذه بعض الأدلة على أن المهدي لا علاقة له بتحرير فلسطين، لأن زمنه يختلف عن زمننا، ولأن عدد البشر أقل بكثير، ولأن السلاح في زمن المهدي سيعود للسيف والرمح والخيل.

الخلاصة: إن القرآن الكريم ذكر أنه إذا جاء وعد المرّة الأخيرة على بني إسرائيل فسيرسل الله عليهم من يسوء وجوههم ويخرجهم من المسجد الأقصى، لذا في زمن المهدي ستكون لهم محاولة فاشلة بقيادة الدجال للعودة إلى فلسطين، فعندما يحاصرون المسلمين وقائدهم المهدي في المسجد عند المنارة البيضاء في دمشق، ينزل المسيح عليه السلام ليقتل الدجال كما ذكرنا قبل قليل، ولن يصل اليهود إلى فلسطين بل يهزمون هزيمة قاسية عليهم، وينصر الله المسلمين وعلى رأسهم نبي الله المسيح عليه السلام.

# العصر الذهبي للهوس بظهور المهدي

في زمن تفشي الظلم والاستبداد، وانتشار الجهل المركب والتعصب الطائفي والعرقي والمذهبي، وازدياد الفتن وظهور الوباء، ومرور أغلب الناس بأزمات اقتصادية وضيق في المعيشة، تتطلع الأنفس إلى ظهور المنقذ المخلّص، الذي يُنهي الله تعالى على يديه كل هذه المشاكل والفتن.

لذا فالقلوب تبحث عن الأمل الذي تستطيع تنفس الصعداء معه، مما يجعل كل هذه الآمال تنعكس على الأحلام والرؤى التي في المنامات، ولكن يتفاوت الناس في ذلك، بين عابرٍ على الموضوع مارٍّ مرور الكرام، وبين متأثرٍ إلى درجة معينة ليهتم ويبحث، وبين من أصابه الهوس حتى أصبح عنده كالمرض، له أعراض تتزايد مع الوقت، حتى يصبح الأمر مستفحلاً في كثير من الحالات، فتصيبه التهيؤات والاضطرابات، وبعضهم يتقمص تلك الشخصيات، فهذا يدعي أنه المهدي، وهذا يزعم أنه اليماني، وتلك تزعم أنها الدابة، وآخر يصيح بالناس بأنه المسيح عليه السلام.

ولكن في بعض الحالات، تكون المسألة عبارة عن مؤامرة ومخطط دولي متقصد ومدبر، من خلال دعم رجل ما وتصويره إعلامياً على أنه المهدي، لذا إلى أين وصل الناس في هذه المسائل؟

لقد وصلنا إلى مرحلة اعتماد هذه الرؤى في الفتاوى، أقصد الفتاوى الخاصة بمواضيع المهدي وآخر الزمان، فتأتي رؤيا لأحد المتصدرين مثلاً، على أن شخصاً ما رأى كذا وكذا، فتخرج الفتوى بأن المهدي قد ولد مثلاً، أو أنه سيظهر في السّنة الفلانية، وهكذا..

والحقيقة أن من رأى رؤيا من هذا القبيل، كأن رأى مثلاً المهدي أو رأى أن القيامة قامت، أو ما شابه ذلك، فهذه لها ثلاث حالات:

إما أن تكون حديث نفس، أو رؤيا صالحة، وعلى الجهتين فالمسألة طبيعية، ولكن في الحالة الثالثة: أن تصل إلى هواجس يتحكم بها ويبثها شياطين الإنس والجن على سواء. بحيث يصبح هاجس المرء رؤية المهدي لأنه مقتنع أنه يعيش في نهاية الزمان، فهذا أمر مقلق، ويحتاج إلى دراسة متأنية لكي نتمكن من معالجة الأمور ووضعها في نصابها الحقيقي الصحيح.

وعلى فكرة، كل هذا ليس موجوداً عند المسلمين وحدهم، بل هو عند أهل الكتاب موجود أيضاً، وعلى مستوى متقدم، حتى من كبار المسؤولين، فمثلاً روى هرتزل — مؤسس الحركة الصهيونية الداعية إلى العودة إلى الأرض المقدسة —، روى قبل موته بستة أشهر لأحد أصدقائه الصحفيين رؤيا رآها في صغره وأثرت فيه كثيراً، قال: ظهر لي المسيح الملك، على صورة رجل مسن في عظمته وجلاله، فطوقني بذراعيه وحملني بعيداً على أجنحة الريح، والتقينا على إحدى الغيوم القزحية بصورة موسى عليه السلام، فالتفت المسيح إلى موسى مخاطباً إياه وقال: من أجل هذا الصبي كنت أصلي، ثم قال له: اذهب وأعلن لليهود بأنني سوف آتي عما قريب، لأجترح المعجزات الكبيرة، وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي في العالم بأسره.

هذه الرؤيا أثرت في هذا الطفل وتحولت عنده إلى مسؤولية وعقيدة تدعوه للعمل بإصرار لتحقيق هذه العقيدة. وقد تأثر به الألوف من اليهود، حتى أن بن غوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني يقول: الإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي، يردده الفرد في صلواته اليومية، إذ يقول بخشوع: أؤمن إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح، وسأبقى – حتى لو تأخر – أنتظره كل يوم.

لاحظوا مسألة الانتظار اليومي حتى لو تأخر، وأنا أتساءل معكم: بالله هل هذه رؤيا صادقة؟ هل من المعقول أن يرى رجل مثل هرتزل – وهو الذي ناضل لقتل المسلمين وسرقة بلادهم، وحاول شراء فلسطين بالمال من السلطان عبدالحميد رحمه الله –، أن يرى سيدنا موسى عليه السلام؟ بل لاشك أبداً أن هذه هي الرؤيا الكاذبة، هل تعلمون ما دليل ذلك؟

الدليل قوله إنه رأى ما سماه بـ(المسيح الملك) ومعلوم أن اليهود لا يعترفون بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، لذا هو يقصد أنه رأى ذلك الملك الداودي الذي

يحلمون به من نسل داود عليه السلام، ذلك الملك القوي الذي عنده خوارق، والذي يعتقدون بأنه سيأتي ليخلصهم من ظلم العالم، وهذا طبعاً ليس له وجود في الحقيقة، إذاً هو من تلاعب الشيطان به، ولماذا قلت إنه تلاعب الشيطان؟ الإجابة ستأتي بعد قليل إن شاء الله من الحديث الشريف.

فسبحان الله، هذه عقيدة الانتظار الموجودة عند أهل الكتاب، هي ذاتها تحولت عن طريق الفرس إلى الشيعة، ثم تحولت عن طريق الضخ الإعلامي على أجنحة الجهل إلى كثير من المسلمين للأسف الشديد.

والآن تعالوا في البداية نتعرف على أنواع الرؤى بشكل دقيق، ثم نتعرف على أسبابها، حتى نفهم هذه الروايات الكثيرة جداً من أناس قالوا بأنهم رأوا المهدي في مناماتهم أو رأوا رؤى عُبرت لهم بأننا في زمن المهدي وأنه على وشك الخروج، وما صاحب ذلك من خرافات واستغلال الدجاجلة وتجار الدين وتجار الأزمات ..الخ.

حتى سمعت أحد الدجاجلة يقول: كلما ازداد الجهل عند الناس ازداد الإقبال علينا، يعني هو يعترف بكل وقاحة وعدم مبالاة.

هل نستطيع فعلاً الإفتاء بولادة المهدي أو قرب ظهوره بناء على رؤى ذكرت على الفضائيات أو وسائل التواصل؟ تعالوا نُؤصّل المسألة ونفهم حقيقة الرؤى حتى لا يدجّل علينا الدجاجلة.

أولاً- ما هي حقيقة الأحلام بشكل عام؟ وما الفرق بين الرؤيا والحلم وحديث النفس، ومن أين أتت هذه التقسيمات التي نسمعها دائماً؟

والإجابة التي تُطَمئن القلوب: هي من سيد البشر ﷺ، الذي علمه الله سبحانه وتعالى أسرار النفوس والقلوب والرؤى؟ ولكن في البداية دعونا ننظر إلى مفهوم الرؤيا في القرآن الكريم لنتعرف الرؤيا الصادقة، لأننا سنحتاج إلى هذا الفهم في التفصيل بعد قليل بإذن الله تعالى.

فالرؤيا الصادقة قد تكون تكليفاً، أو وحياً في حال كانت للأنبياء عليهم السلام، أو قد تكون بشرى ربانية، وما الفرق بينها وبين الرؤيا الصالحة، والرؤيا الحسنة؟ ولماذا هناك من يرى الرؤيا وهناك من تُرى له، وما صفات هذا الرائي؟ حتى نعرف أنها رؤيا حق أم مجرد وهم؟

ونبدأ بقوله تَعَالَى : (**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**)، إذاً هذه رؤيا صادقة، فما هي هذه الرؤيا الصادقة؟

كان ﷺ قد رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقصّ رؤياه على الصحابة ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا إن رؤيا نبي الله ﷺ حق، فلما تأخر ذلك قال المنافقون وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول: والله لا حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام، فنزلت هذه الآية الكريمة، فكانت فتنة للمنافقين، ولكنها كانت رؤيا صادقة فعلاً عندما دخلوا مكة عام الفتح، وهنا الشاهد، فهذه الرؤيا الصادقة هي بشرى ربانية ووحي للنبي ﷺ.

وقال تعالى: {**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيم [١٠٤] قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين**} الصافات.

وهذه أيضاً رؤيا صادقة، ولكن ما الفرق بينها وبين رؤيا النبي ﷺ؟ قال الإمام الرازي في تفسيره: تحت عنوان: في بَيانِ الحِكْمَةِ في وُرُودِ هَذا التَّكْلِيفِ، في النَّوْمِ لا في اليَقَظَةِ، وبَيانُهُ مِن وُجُوهٍ: الأوَّلُ: أنَّ هَذا التَّكْلِيفَ كانَ في نِهايَةِ المَشَقَّةِ عَلى الذّابِحِ والمَذْبُوحِ (يعني إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، والقصة معروفة)، فَوَرَدَ أوَّلًا في النَّوْمِ (يعني وقع الفعل في النوم أولا) حَتّى يَصِيرَ ذَلِكَ كالمُنَبِّهِ لِوُرُودِ هَذا التَّكْلِيفِ الشّاقِّ، ثُمَّ يَتَأكَّدُ حالُ النَّوْمِ بِأحْوالِ اليَقَظَةِ، فَحِينَئِذٍ لا يَهْجُمُ هَذا التَّكْلِيفُ دُفْعَةً واحِدَةً، بَلْ شَيْئًا فَشَيْئًا.

الثّانِي: أنَّ اللَّهَ تَعالى جَعَلَ رُؤْيا الأنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ حَقًّا، قالَ اللَّهُ تَعالى في حَقِّ سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ**﴾. وتحدثنا عن ذلك، وقالَ عَنْ سيدنا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿**إنِّي رَأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأيْتُهم لِي**

**ساجِدِينَ﴾** وقالَ في حَقِّ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: **﴿إنِّي أرى في المَنامِ أنِّي أذْبَحُكَ﴾**، والمَقْصُودُ مِن ذَلِكَ تَقْوِيَةُ الدَّلالَةِ عَلى كَوْنِهِمْ صادِقِينَ؛ لِأنَّ الحالَ: إمّا حالُ يَقَظَةٍ وإمّا حالُ مَنامٍ، فَإذا تَظاهَرَتِ الحالَتانِ عَلى الصِّدْقِ، كانَ ذَلِكَ هو النِّهايَةَ في بَيانِ كَوْنِهِمْ مُحِقِّينَ صادِقِينَ في كُلِّ الأحْوالِ، واللَّهُ أعْلَمُ.

ضع خطاً تحت قوله: فَإذا تَظاهَرَتِ الحالَتانِ عَلى الصِّدْقِ، -يعني في اليقظة والمنام- كانَ ذَلِكَ هو النِّهايَةَ في بَيانِ كَوْنِهِمْ مُحِقِّينَ صادِقِينَ في كُلِّ الأحْوالِ، وسنرى ذلك بعد قليل حين نتحدث عن حديث أصدقهم رؤيا أصدقهم حديث.

وقال الرازي رحمه الله: ثُمَّ نَقُولُ: مَقاماتُ الأنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عَلى ثَلاثَةِ أقْسامٍ: (الآن سنبين كيف يمكن أن تُأول هذه الرؤى الصادقة) قال: مِنها ما يَقَعُ عَلى وفْقِ الرُّؤْيَةِ، كَما في قَوْلِهِ تَعالى في حَقِّ رَسُولِنا ﷺ: **﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ﴾** ثُمَّ وقَعَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِعَيْنِهِ. ومِنها ما يَقَعُ عَلى الضِّدِّ كَما في حَقِّ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَإنَّهُ رَأى الذَّبْحَ وكانَ الحاصِلُ هو الفِداءَ والنَّجاةَ. (فلم يذبحه في الواقع في اليقظة، بل ذبحه في الرؤيا فقط).

ومِنها ما يَقَعُ عَلى ضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ والمُناسَبَةِ كَما في رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَلِهَذا السَّبَبِ أطْبَقَ أهْلُ التَّعْبِيرِ عَلى أنَّ المَناماتِ واقِعَةٌ عَلى هَذِهِ الوُجُوهِ الثَّلاثَةِ. يعني: إما كما رأى في منامه، وإما عكس ما رأى في منامه، وإما تحتاج إلى تأويل يناسب الواقع، وهذا ينطبق على غير الأنبياء أيضاً، بل على غير المسلمين كذلك، فمثلاً رؤيا الفَتَيَين اللذين دخلا السجن مع سيدنا يوسف عليه السلام، أخبرنا القرآن عنهما أنهما قالا: (**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)، قال الإمام الرازي قد تأتي الرؤيا على حسب الصنعة، فالأول كان ساقي الملك والثاني كان خبازه، المهم: الشاهد أن الرؤيتين فيهما ترميز، فالأول سيسقي سيده خمراً، والثاني سيُصلب فتأكل الطير من رأسه، وهذا أمر محسوم واقع لا محال، ورغم أنهما كانا غير مسلمين بدليل أنه دعاهما للإسلام حين قال لهما:

**{يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّار [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون[٤٠]}** يوسف.

ومع ذلك فالرؤيا التي رأياها كانت من ضمن الرؤيا الصادقة، ولكنها رؤيا صادقة رمزية لها تأويل على غير ظاهرها، فهي من القسم الثالث، وحتى لا يتشكك أحد فيقول كيف لكافر أن يرى رؤية صادقة؟ فالجواب الرؤيا الصادقة هي كالرزق، والله تعالى يرزق المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، فهذا رزقه، وربما تكون سبباً لهدايته كما في قصة الملك الذي آمن مع يوسف عليه السلام، وإما أن تكون سبباً في فتنته مثل قصة ابن سلول كما ذكرنا قبل قليل.

والآن تعالوا نستعرض الأحاديث التي قسّم بها النبي ﷺ الرؤيا بحسب أنواعها، ثم نعلق عليها: روى ابن ماجة بسنده أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنْ الشَّيْطَانِ، لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ. وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ. وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ.**

وروى الترمذي وصححه قَال ﷺ: **الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنْ الشَّيْطَانِ.**

وعند ابن ماجة قال ﷺ: **الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَبُشْرَى مِنْ اللَّهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ.**

إذاً التقسيم إلى الآن: أهاويل وخرافات شيطانية يبثها ليحزن ابن آدم، وهواجس وهموم يُكثر المرء التفكير بها لدرجة أن يحدث بها نفسه في مناماته، وبشرى ربانية وهي الرؤيا الصالحة للتعبير، تأتي كرسائل ربانية للمرء.

وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والمقصود أن الدعوة النبوية كانت ٢٣ سنة، يعني ٤٦ "نصف سنة"، وكان ﷺ قد بدأ الوحي معه في الرؤى الصالحة الصادقة قبل أن ينزل عليه جبريل عليه السلام، لمدة ستة أشهر، كما روى البخاري بسنده عن السيدة عَائِشَةَ أم المؤمنين

رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

وروى البخاري: أنه ﷺ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنْ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ.** فما تفصيل ذلك؟ وماذا عن الرؤى التي في آخر الزمان؟ هل لها خصوصية؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا (الْمُؤْمِنِ) تَكْذِبُ،** (ولكن من هذا المؤمن؟) قال: **وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا.**

في أصول الفقه علم منطوق النص ومفهوم النص، مثل قوله تعالى: **(ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما)** هذا منطوق النص، لا تقل أفٍ. وهما حرفان، ولكن مفهوم النص لا تقل لهما ما هو أكبر من كلمة أف، فلا يجوز شتمهما مع أنه لم يقل ذلك ولكن هل يوجد من لا يفهم ذلك؟

وهنا قال أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، هذا منطوق النص، ومفهوم النص: وأكذبهم رؤيا أكذبهم حديثاً قال: **وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثٌ فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ،** وهنا قال الرؤيا الصالحة وليس الصادقة، لأننا أصبحنا الآن في مسألة درجات وتفاضل في الحديث بين الصدق والكذب، وهذا ما قلت عنه قبل قليل ضعوا تحته خطاً عند قول الإمام الرازي: فَإذا تَظاهَرَتِ الحالَتانِ عَلى الصِّدْقِ، -يعني الصدق في اليقظة والمنام- كانَ ذَلِكَ هو النِّهايَةَ في بَيانِ كَوْنِهِمْ مُحِقِّينَ صادِقِينَ في كُلِّ الأحْوالِ) تكملة الحديث قال: **وَالرُّؤْيَا مِنْ تَحْزِينِ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ.** هذه الأنواع الثلاثة، قال: فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيَتْفُلْ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ،.. الحديث. رواه الترمذي وقَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وهو عند البخاري أيضاً.

وحديث مسلم يوضح هذه الصورة أكثر من خلال صفة جديدة، حيث روى الإمام مسلم في صحيحه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ.** وفي رواية: **إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ.**

إذاً العبد الصالح قد يرى رؤيا تخصه، وقد يراها له غيره، والآن هناك ما يخصص كل ما سبق أكثر فأكثر، ويحصر لنا المسألة، ما هي الرؤيا الصالحة؟ من الذي يراها؟ وما هي الرؤية التي هي جزء من ٤٦ جزءاً من النبوة؟

الإجابة في هذا الحديث: روى البخاري بسنده قال ﷺ: **الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنْ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ.**

إذاً فالرؤيا الحسنة التي هي جزء من ٤٦ جزءاً من النبوة: هي التي يراها الرجل الصالح، يعني لا يدخل فيها غير الصالح ولا غير المسلم، فهي ليست من نوع رؤيا الملك الذي عاش في زمن يوسف عليه السلام، ولا الرؤيا التي رآها بختنصر زمن دانيال عليه السلام، ولا رؤيا صاحبي السجن، برغم أنها رؤيا صادقة، إلا أنها ليست رؤيا حسنة ولا صالحة، والصلاح عكس الفساد، إذاً عكس الرؤيا الصالحة هي الرؤيا الفاسدة، والرؤيا الفاسدة لا تعويل عليها إطلاقاً، لأنها قد تكون من تلاعب الشيطان، ورؤيا غير الصالح قد تكون صادقة إن وجد من يعبرها حق التعبير، وقد تكون رؤيا فاسدة من حديث النفس، مع العلم أنه ليست كل رؤى الصالحين يلزم أن تكون رؤى أصلاً، فالصالح قد ينام ولا يرى رؤيا صالحة يومياً، ليس ذلك شرطاً.

والآن، ما الدليل على ذلك؟ ذكرت قبل قليل عن تلاعب الشيطان، فما قصة ذلك؟ روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ، (رأى رأسه ضُرب فوقع على الأرض وتدحرج فصار يسرع ليلحقه ويمسكه) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: **لَا تُحَدِّثْ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ.** وَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدُ يَخْطُبُ فَقَالَ: **لَا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ**، وفي رواية أيضاً عند مسلم قَالَ: **فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ.** إذاً فهناك نوع رابع وهو تلاعب الشيطان بالإنسان، وهو غير تهويل الشيطان وغير التحزين، هذا تلاعب شيطاني، والتلاعب فيه استخفاف واستهانة.

وقد يظن المرء أنها رؤيا ولها تعبير محدد، فيبدأ بالبحث عمن يؤولها له، وربما يجامله شيخ ما مثلاً أو رجلٌ يزعم تعبير الرؤى، فيضع الرائي في ضيق ليس في محله، أو في بشارة ليست في محلها، خاصة إن كان هذا المعبر لا يتقي الله، ويزعم أن فيه ما ليس فيه، لأن تعبير الرؤى ملكة وموهبة ربانية ليست بالضرورة أن يحسنها العلماء أو طلاب العلم.

وخلاصة ما سبق: الرؤيا إما أن تكون صادقة، وهي للأنبياء وحي، ولغير المسلمين رزق أو إشارة، وقد توصل صاحبها إلى الإسلام أو إلى الفتنة، وهي قد تقع في الواقع كما جاءت تماماً، وقد تقع بعكس ما رأى الرائي، وقد تكون رمزية لا يعرفها إلا المعبر الموفق المسدد. أو أن تكون رؤيا صالحة حسنة وهذه لا يراها إلا المؤمن صادق الحديث، وهي جزء من ٤٦ جزءاً من النبوة.

وتعبير الرؤى يختلف باختلاف حال الرائي، فهل يوجد أمثلة واقعية تدعم هذا التقسيم أكثر؟ هذه جملة مما روي عن الإمام ابن سيرين رحمه الله، وهو المعروف بتعبير الرؤى، وهو فقيه ومحدث وعالم كبير رحمه الله تعالى، روي عنه أنه جاءه رجل فقال: رأيت أني أؤذن، فقال: ستحج، ثم جاءه آخر فقال: رأيت أني أؤذن، فقال: أنت سارق، فقيل له: كيف تعبر نفس الرؤيا تعبيرين مختلفين؟ فقال: رأيت في الأول سيما الصلاح فعبرتها بقوله تعالى (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ)، ورأيت في الثاني سيما الفسق فعبرتها بقوله تعالى (أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)، إذن اعتمد الإمام في تعبير الرؤيا على حال الرائي، وهذا يرجع إلى فراسة المعبر وتقواه وورعه.

وأيضاً من أغرب ما روي عنه، قال له رجل: رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون، فقال: فتش على امرأتك فإنها أمك، ففتش فإذا هي أمه، وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيرًا سبيًا ثم مكث في بلاد الإسلام إلى أن كبر، ثم سبيت أمه، فاشتراها جاهلاً أنها أمه، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين، فأمره أن يفتش على ذلك، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره.

وقال له آخر: رأيت كأني دست– أو قال وطئت– تمرة فخرجت منها فأرة، فقال له: تتزوج امرأة– أو قال: تطأ امرأة– صالحة تلد بنتًا فاسقة، فكان كما قال.

ومن أعجب ما روي عنه أيضاً، أنه عرف أن الذي يقص عليه الرؤيا ليس هو الرائي نفسه، بل هو مبعوث عنه ليقص عليه رؤيا الذي بعثه، فقد أتاه رجل فقال: رأيت رجلاً عرياناً واقفًا على مزبلة وبيده طنبور– عود موسيقي– يضرب به، فقال له ابن سيرين: لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري، فقال: الحسن هو والله الذي رأيت، فقال: نعم، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجليه، وعريه "تجرده" عنها، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس.

وقال له رجل: رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها، فقال له أمؤذن أنت؟ قال: نعم! قال له: اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران.

لذا قال العلماء: وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ كَثُرَ صِدْقُهُ تَنَوَّرَ قَلْبُهُ وَقَوِيَ إِدْرَاكُهُ فَانْتَقَشَتْ فِيهِ الْمَعَانِي عَلَى وَجْهِ الصِّحَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ غَالِبُ حَالِهِ الصِّدْقَ فِي يَقَظَتِهِ اسْتَصْحَبَ ذَلِكَ فِي نَوْمِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا صِدْقًا وَهَذَا بِخِلَافِ الْكَاذِبِ وَالْمُخَلِّطِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ قَلْبُهُ وَيُظْلِمُ فَلَا يَرَى إِلَّا تَخْلِيطًا وَأَضْغَاثًا، وَقَدْ يَنْدُرُ الْمَنَامُ أَحْيَانًا فَيَرَى الصَّادِقُ مَا لَا يَصِحُّ وَيَرَى الْكَاذِبُ مَا يَصِحُّ ، وَلَكِنَّ الْأَغْلَبَ الْأَكْثَرَ مَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

وهنا أود أن أشير أيضاً إلى آخر مسألة وهي: هل كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم هو صادق؟ وهل كل من رأى غير النبي صلى الله عليه وسلم يكون فعلاً هو أم أن الشيطان يتمثل به؟

روى الامام احمد: بسنده أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي.**

وروى ابن ابي شيبة: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي، فَمَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي.**

ولكن هل هذا على إطلاقه هكذا بلا تفصيل؟ فقد صحّ عن ابن سيرين رحمه الله أنه كَانَ إِذَا قَصَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: صِفْ لِيَ الَّذِي رَأَيْتَهُ، فَإِنْ وَصَفَ لَهُ صِفَةً لَا يَعْرِفُهَا قَالَ: لَمْ تَرَهُ.

ويأتي اليوم رجل إلى أحد المشايخ، أو يتصل به هاتفياً، أو يرسل له رسالة على الواتساب، فيقول له رأيت كذا وكذا، فترى هذا الشيخ سارع نحو التعبير بلا أن يرى السائل أو يتفرس به ويتعرف على أحواله، فيقول له تفسيرها كذا وكذا، ثم تبدأ عمليات البناء على هذه الرؤيا ويتناقلها الناس بلا أي تثبت، وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع، كما قال ﷺ.

والرؤيا الحق الصالحة لها صفات أيضاً، فعن أَبِي سَلَمَةَ قالُ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنْ اللَّهِ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثًا وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**. رواه البخاري.

ومن الكذب أن يزعم الرجل أنه رأى ما لم يرَ، روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **من أرى عينيه في المنام ما لم تريا كلّف أن يعقد بين شعرتين (في رواية شعيرتين) يوم القيامة**. رواه الامام الثعلبي في تفسيره والدارمي وصاحب كنز العمال، رحمهم الله تعالى.

وخلاصة الخلاصة: لا تأخذوا الأحكام من الرؤى، ولا تقبلوا فتاوى تحديد زمن المهدي بناء على الرؤى فهذا من الجهل والتكلف، وعلى الأقل تبقى هذه الرؤى لا يُجزم بها، فمن قال إنها مجرد احتمال، قلنا له القاعدة تقول: ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

# هل سيخرج المهدي من المغرب؟

هذا السؤال يتداوله العديد من الناس، ومن أهل المغرب خاصة، وبما أن الحق أحق أن يُتبع، والحق لا يكون إلا بالدليل من الكتاب والسنة، فليس علينا إلا المضي خلف الدليل الذي يستند إلى وحيين كما فهمهما أهل العلم، لا كما تسول للإنسان نفسه ويخدعه هواه.

وسوف نحاول أن نُؤصل لهذه المسألة بكل منهجية وهدوء، وبعيداً عن التعصب الجغرافي والمناطقي، والتسليم لما قضاه الله تعالى وقدره، والتأكيد على أن أي مكان سيخرج منه المهدي لا يقدم ولا يؤخر في ضرورة نصرته واتباعه، ولكن بشرط التثبت من أنه هو المهدي فعلاً، ولا سبيل لذلك التثبت إلا بحدث واحد وهو الخسف الذي سيصيب الجيش القادم لقتاله في مكة، حيث يقع الخسف بهم في البيداء كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، وبغير هذه العلامة فلا مهدي ولا بيعة، بل هو نفسه لا يعلم بأنه هو المهدي قبل هذه العلامة كما بينا ذلك بالأدلة في كتابي "الخلافة المقدسية".

والحقيقة أنه إذا علمنا أنه لا بيعة للمهدي حتى يكون في مكة المكرمة ين المقام والحجر، فيسمع المسلمون وقتها بالخسف في البيداء، فعندها فقط تكون المبايعة، إذاً قبل هذا الحدث المفصلي فلا أهمية أبداً لمكان خروجه إن كان من الشرق أو المغرب، بل ربما كان التعصب لهذه المسألة أكبر فتنة في حال خرج رجل دعيّ يزعم أنه المهدي فيتبعه كل من كان يظن أنه سيخرج من المغرب، ولا يعلم بأنه لابد من رؤية أو سماع خبر الخسف وأنه هو الخبر المفصلي.

بدأت هذه الدعوة بعد كتاب الإمام القرطبي رحمه الله "التذكِرة"، وقد ازدادت اليوم مع انتشار العصبية المناطقية لدى البعض ممن يتصدر في الكلام بعلوم أشراط الساعة.

وطبعاً لا يخلو الأمر من علماء الإنصاف والتوازن والعدالة، ولكن للأسف لم تعد كلمتهم مسموعة في ذلك الضجيج الذي ملأ مواقع التواصل على الإنترنت، لدرجة أنه قد ضجت وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي بخبر عن بناء مدينة "تامسنا" (نواحي الرباط، ويروى

أنها منطقة تاريخية امتدت بين وادي أبي رقراق ووادي أم الربيع، والتي تم فعلاً تدشينها كمدينة "جديدة" منذ عام ٢٠٠٤)) فجاء الخبر على أنها من علامات قرب ظهور الإمام المهدي؟،

الخبر الذي أثاره قيادي بارز في أحد الأحزاب الدينية السياسية في إحدى دول المغرب، مما أدى إلى ضجة "دينية" و "سياسية" كبيرة أشغلت الرأي العام في المنطقة في وقت ما، بين مؤيد ومعارض ومتهم بالخرافة والدجل وإثارة المواضيع الباطلة والتافهة، على حدّ تعبيرهم، وقال هذا القيادي إنه اعتمد على ما ذكره الامام القرطبي في كتابه التذكِرة.

والحقيقة أنني أريد التنبيه من فتنة قد تموج كموج البحر وترتفع أمواجها مستقبلاً، إذا ما تم فعلاً بناء هذه الفكرة التي لا سند لها بعقول الأجيال اللاحقة، فيكون مروجو هذه الفكرة قد ساهموا بالترويج لمن جاء اسمه في الآثار والروايات بعبدالرحمن البربري الذي يقيم دولة الكفر كما ذكرت الروايات.

فبدل أن يبايعوا المهدي حين يخرج في زمانه، يَنْضمّون إلى من سيقاتل خلفاء الخلافة المقدسية ظناً منهم أنه هو المهدي وأنهم يفعلون خيراً، خاصة أنه هو شخصياً سيروج لنفسه على أنه هو المهدي أو أنه ذاهب لنصرة المهدي، وبما أن العقول قد تقبلت ذلك مسبقاً من خلال التزوير الاعلامي، فهي جاهزة للاتباع من غير تفكير ولا تمحيص، إلا من آتاه الله بصيرة ونوراً يرى به الحق، لذا فأنا أهيب بأهلنا في المغرب أن يتعرفوا على الحق وأن يأخذوا المسألة بحكمتهم المعهودة والمعروفة فيهم، وبأقوال العلماء الذين هم من المغرب أيضاً، من أهل الإنصاف والتدبر والتحقيق العلمي الرصين، وسنذكر بعضاً منهم إن شاء الله.

وهناك مسألة في غاية الأهمية يجب التنبيه لها والتنويه بها لأهلنا في المغرب من العرب والأمازيغ الكرام سواءً بسواء، وهي أن حديثنا عن عبدالرحمن البربري وما تسميه الروايات بدولة الكفر، لا يعني أن الناس وقتها سيغيرون دينهم بالعموم، ولا يعني أن الروايات تقصد كفرهم، أبداً، ولكنه الخلاف السياسي فقط، ربما على طريقة الخوارج وطريقة الشيعة في ضلالهم، وعلى سبيل الفتنة والتحريض، والتغرير بعوام الناس، لاستخدامهم في أغراض شخصية، في استباحة الدماء والأموال وسبي الأعراض بظلم، وهذه كلها عند الله من الكبائر، والتي يُخشى على صاحبها الخروج من الملة، فلا نقول بكفر العموم ولا الآحاد، ولكن من استحل الحرام وهو يعلم فقد أصبح في

خطر الخروج من الملة، لذا وجب التنويه ولفت النظر وشرح أبعاد ما يقال اليوم، بقصد أو بلا قصد، فالجهل أخو العدو وكلاهما بالنتائج يفضي إلى الخراب والندم.

والآن، ما الذي ذكره الامام القرطبي؟ وما قصة هذه المدينة مع المهدي؟ جاء في كتاب التذكرة للإمام القرطبي تحت عنوان: "باب منه في المهدي ومن أين يخرج وفي علامة خروجه وأنه يبايع مرتين ويقاتل السفياني ويقتله": رُوي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من الصحابة (ولاحظوا قول الإمام القرطبي رحمه الله أنه قال – رُوي – وهذه يسميها العلماء والقرطبي منهم طبعاً: بصيغة التمريض، أي إشارة الى ضعف ما سيقال بعدها، قال: إنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصى (وهنا أيضا ملاحظة مهمة جداً: فهو لم يقل يخرج المهدي في آخر الزمان يعني لم يسمِّ المهدي بل قال يخرج في آخر الزمان من المغرب، لماذا قلت هذه الملاحظة لأن الكلام هنا يُحتمَل، وما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وأنا أنزه الإمام القرطبي من أن يقول ما ليس عنده به دليل مسند). قال: يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً (وهذه صفة معارك عبدالرحمن البربري الذي ذكرته قبل قليل)، قال: راياته بيض وصفر، (وكذلك رايات عبدالرحمن البربري)، قال: فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب: فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له "ماسة" من قبل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر **{أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون}**، الحديث بطوله.

وبالمناسبة، لا يعني الاستشهاد بالآيات من القرآن أن هذا الذي يستشهد بها على حق، بل هو أسوأ أنواع التلبيس والتزوير، على طريقة المجرم ابن ملجم الذي قتل سيدنا علي رضي الله عنه المبشر بالجنة، ثم زعم هذا المجرم أنه يطبق قوله تعالى إن الحكم إلا لله، والله بريء منه.

ثم قال الإمام القرطبي: وفيه: [فيأتي الناس من كل جانب و مكان فيبايعونه يومئذ بمكة و هو بين الركن و المقام و هو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعه الناس بالمغرب. وهذا ينطبق على عبدالرحمن البربري، ولكن في الكلام عن المهدي فالوضع مختلف تماماً فهو سيأخذ البيعة الأولى في الحرم بين الركن والمقام بعد حادثة الخسف بجيش السفياني، والسفياني شخصياً لم يكن في الجيش، ثم البيعة الثانية ستكون في بيت المقدس بعد أن يخرج من الحجاز

باتجاه الشام لقتال السفياني في منطقة تبوك تقريباً في أول الشام، ثم يأسر السفياني ويأخذه معه إلى بيت المقدس وهناك يقتله على صخرة في بيت المقدس فتحصل له البيعة الثانية وهي بيعة عامة الناس، وهذا هو المعروف المحفوظ وعليه الأدلة، وليس كما يظن من يقرأ هذه الروايات التي ذكرها القرطبي بلا سند ولا يعرفها أحد ولم يذكرها أي كتاب من قبل.

ثم قال: ثم إن المهدي يقول: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله و عدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمراً فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني. (وهذا الاسم لم يرد في نص) وكل من معه من كلب ثم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفياني على أعلى شجرة وعلى بحيرة طبرية و الخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة]. انتهى كلام القرطبي إلى هنا عن هذا الأثر الذي بلا أي إسناد.

وروى القرطبي في التذكرة وأيضاً من غير إسناد: [ستفتح بعدي جزيرة تسمى بالأندلس فتغلب عليهم أهل الكفر فيأخذون من أموالهم وأكثر بلدهم و يسبون نساءهم و أولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكثر البلاد فيافي وقفاراً و تنجلي أكثر الناس عن ديارهم و أموالهم فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها ويكون في المغرب الهرج والخوف ويستولي عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضاً فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من أهل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو المهدي القائم في آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة].

**أولاً**: ليس لهذا الكلام أي سند، إذاً فهو مرفوض قولاً واحداً.

**ثانياً**: كلمة القائم لم تُذكر في كتب أهل السنة ولا نستخدمها بل هي من ألفاظ الشيعة، والشيعة رواياتهم باطلة باعترافهم هم لأنهم لم يكتبوا الحديث إلا بعد القرن الرابع الهجري.

ثالثاً: هذه الصفات وقعت كثيراً لأهل المغرب في الأزمان المختلفة الماضية في دولة الموحدين ودولة المرابطين وزمن العبيديين القرامطة، بل باعتراف الإمام القرطبي نفسه في الكتاب نفسه حيث قال بعدها الإمام القرطبي معلقاً على الحديث: كل ما وقع في حديث معاوية فقد شاهدنا بتلك البلاد وعاينا معظمه إلا خروج المهدي.

أقول: بل كل الفتن والفوضى التي مرت على الأمة في كل البقاع والأقاليم متشابهة في صفاتها من حيث الفوضى والقتل والسلب والفتن.

إذاً، **خلاصة الرد على ما سبق:**

**أولاً**: هذا الحديث لا وجود له في كتب المسلمين جميعها ، وهنا في كتاب الإمام القرطبي لا سند له يبين حاله إن كان صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعاً.

**ثانياً**: لقد رد العلماء على كلام الإمام القرطبي ومنهم ابن خلدون الذي قال: إن القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له، وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيساً على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك، وأفهمهم أن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته، فتهافت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر، ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا إليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة[١].

قال الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه "العرف الوردي": أورد القرطبي في (التذكِرة): أن المهدي يخرج من الغرب الأقصى في قصة طويلة، ثم قال: ولا أصل لذلك. وقال تحت عنوان: "مسألة في مجيء المهدي من الغرب": هل ورد فيه أثر يعتمد عليه؟ وهل للقول بأنه موجود الآن بالمغرب صحة أو لا؟

قال: والذي ترجح عندي من أكثر الأحاديث أنه خليفة يقوم في آخر الزمان، وأنه من ولد فاطمة، وقد ثبت في أحاديث أنه يخرج من قبل المشرق، وأنه يبايع له بمكة بين الركن والمقام، وانه يدخل بيت المقدس، وأنه يملأ الأرض عدلاً، فبطل قول من قال: إنه موجود الآن بالمغرب.

وهذه أيضاً شهادة من أحد علماء المغرب الأكابر، فقد قال الشيخ عبدالله الغماري في كتابه "المهدي المنتظر": ذكر القرطبي وابن العربي الحاتمي (الصوفي) وجماعة، إن المهدي يجيء من ناحية المغرب و يبايع بمكة، ولم نقف على ذلك في شيء من كتب الحديث، إلا أني وجدت في بعض الآثار أن أهل المغرب يبعثون له أربعة آلاف رجل يدعونه إليهم بعد مبايعته.

---

[١] حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.

وقال عبد الرزاق البيطار في "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر": قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي: وأما قول القرطبي إن ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل، وقد تبع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي (يقصد العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي تلميذ الامام السيوطي) والعلامة الصبان (يقصد العلامة محمد بن علي الصبان) في رسالته التي ألفها في علامات المهدي، فكل منهما قال كما قال السيوطي: إن قول القرطبي إن ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل، وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر، فإن كثيراً ممن ادعى نفسه أنه المهدي وكان ظهورهم بالمغرب، كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك إفريقية ومصر، وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره، وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد، وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة، والناس بلا خليفة، ويبايع مكرهاً ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها، ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام، ويجتمع به. مما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد.

ومن الأدلة التي يستند إليها أيضاً أهلنا في المغرب على أن المهدي يخرج من هناك، حديث سيدنا سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.** وهنا يقصدون بالغرب بلاد المغرب، والرد على هذه الدعوة أيضاً سهلة، لأن الأحاديث الأخرى هي التي تحدد المقصود من قوله المغرب، ولكن دعونا أولاً نقرأ ما ذكره الإمام النووي في المنهاج عند شرح هذا الحديث في صحيح مسلم فقال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيُّ: الْمُرَادُ بِأَهْلِ الْغَرْبِ: الْعَرَبُ، وَالْمُرَادُ بِالْغَرْبِ الدَّلْوُ الْكَبِيرُ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا غَالِبًا، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ بِهِ الْغَرْبُ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَالَ مُعَاذٌ: هُمْ بِالشَّامِ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ: آخِرُهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِأَهْلِ الْغَرْبِ أَهْلُ الشِّدَّةِ وَالْجَلَدِ، وَغَرْبُ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّهُ. انتهى كلام النووي،

وأقول لاشك أن سيدنا معاذاً رضي الله عنه هو أعلم من المديني والقاضي عياض وغيرهم من العلماء لأن النبي ﷺ قد شهد له بالعلم فقال: **وَأَعْلَمُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ،** ومن شهد له رسول الله ﷺ كفاه.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**. رواه أحمد والترمذي وابن أبي شيبة والطبراني والبزار.

وقال صلى الله عليه وسلم: **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**. قال معاذ بن جبل: وهم بالشام. أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية: **لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب ((دمشق)) وما حولها، وعلى أبواب ((بيت المقدس)) وما حولها، لا يضرهم جذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**.

وهذا أيضاً نقل من كلام الامام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قال: قَالَ صَاحِبُ الْمَشَارِقِ فِي قَوْلِهِ " لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ " يَعْنِي الرِّوَايَةَ الَّتِي فِي بَعْضِ طُرُقِ مُسْلِمٍ وَهِيَ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، ذَكَرَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ قَالَ: الْمُرَادُ بِالْغَرْبِ، الدَّلْوُ أَيِ الْعَرَبُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَتَيْنِ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا لَا يَسْتَقِي بِهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ لَكِنْ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ **وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ** فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْغَرْبِ الْبَلَدُ لِأَنَّ الشَّامَ غَرْبِيُّ الْحِجَازِ كَذَا قَالَ: لَيْسَ بِوَاضِحٍ، وَوَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ "الْمَغْرِب " بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ وَهَذَا يَرُدُّ تَأْوِيلَ الْغَرْبِ بِالْعَرَبِ، لَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ رُوَاتِهِ نَقَلَهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فَهِمَهُ أَنَّ الْمُرَادَ الْإِقْلِيمُ لَا صِفَةُ بَعْضِ أَهْلِهِ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْغَرْبِ أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْجِهَادِ، يُقَالُ فِي لِسَانِهِ غَرْبٌ بِفَتْحٍ ثُمَّ سُكُونٍ أَيْ حِدَّةٌ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ **أَنَّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ**، وَأَضَافَ بَيْتَ إِلَى الْمَقْدِسِ، ولِلطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ النَّهْدِيِّ نَحْوُهُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْأَوْسَطِ لِلطَّبَرَانِيِّ **يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**. قُلْتُ: وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِأَنَّ الْمُرَادَ قَوْمٌ يَكُونُونَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهِيَ شَامِيَّةٌ وَيَسْقُونَ بِالدَّلْوِ، وَتَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَحِدَّةٌ وَجِدٌّ.

والان بقي حديث واحد يستشهد به بعض أهلنا الأعزاء في المغرب وهو ما رواه الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد والطبراني: عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي

غَزْوَةٍ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ قَالَ فَقَالَتْ لِي نَفْسِي ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي قَالَ: **تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ،** قَالَ فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ.

أولاً: معلوم أن الاسلام دخل المغرب في أواخر زمن سيدنا عمر رضي الله عنه في ٢٢ للهجرة، حيث وصل إلى برقة فقط، ثم أُكمل الفتح في زمن عثمان رضي الله عنه، فلا أعرف صحابياً من المغرب، أو كان له دور في إسلام أهل المغرب قبل الفتوحات الإسلامية مثلاً.

ثانياً: جاء فِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ مَرْفُوعًا: **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، قَالَ: "وَهُمْ بِدِمَشْقَ"**. وكذلك قَالَ الإمام أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: **"أَهْلُ الْمَغْرِبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ"**.

وكان يقال عن الإمام الأوزاعي إمام أهل المغرب وأحياناً إمام أهل الشام، فكانوا يعتبرون أهل الشام هم أهل المغرب، ومعلوم أنه ولد في بعلبك ولقب بالأوزاع نسبة الى أوزاع قرب دمشق، حتى إن الإمام محمد بن عبيد الطنافسي قال: كنت عند سفيان الثوري فجاءه رجل فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رفعت. قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي فكتبوا ذلك فوجد كذلك في ذلك اليوم.

ثالثاً: كثيرة هي الأحاديث التي تتحدث عن انتقال عمود الدين إلى الشام، وهي الخلافة، و **أَلا إِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الفتن بالشام** (أخرجه الحاكم وصححه)، **وطوبى للشام قلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**. أخرجه الترمذي وحسنه و **عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم** (جَمْعُ غَدِيرٍ وَهُوَ الْحَوْضُ)، **فإن الله توكل لي بالشام وأهله**. أخرجه أحمد وأبو داود. وغيرها كثير...

وكل هذا لا يضر المغرب أو أهل المغرب ولا ينقص من فضلهم أو مكانتهم ودعوتهم، كما روى الإمام مالك رحمه الله أنَّ أبا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ.

وهذا هو الأصل، فلن يحاسب الإنسان يوم القيامة عن مكان مولده أو عن خروج المهدي من بلده أو غير ذلك، بل إن أكثر من ١٥ ألف صحابي هاجروا إلى الشام ولم يرجعوا إلى الحجاز، بل فضلوا الدعوة إلى الله على العودة إلى أوطانهم.

والغريب أن شدة العصبية المناطقية لدى البعض بلغت به أنه بعد أن جمع أحاديث لا تزال طائفة من أمتي ..إلخ، وجمع معها الروايات التي فيها بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، استنتج بذلك أن المسجد الأقصى في المغرب وليس هذا الذي في فلسطين، فقال: المسجد الأقصى ليس في فلسطين ولا في الجعرانة ولا في سيناء، بل في المغرب بدليل هذه الاحاديث، ويا أسفي أن يصل الحال بنا إلى هذا التخبط، والاهتمام بالثانويات وتقديمها على الأولويات، وما ذلك إلا بسبب سكرة الجهل، وما أدراكم ما سكرة الجهل.

ومن الأدلة أيضاً على هذه المسألة: أنه قال في الحديث: **(قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ)** يعني من جهة المغرب، وليس من أهل المغرب، وفي رواية ابن حبان قال: **وعندَه ناسٌ مِن أهلِ المغرِبِ أتَوْه لِيُسلِّموا عليه وعليهم**. ولكن معلوم أن الإمام مسلم رحمه الله كان يتحرى الدقة في ألفاظ الحديث حتى يصل إلى الأقرب تطابقاً مع الحرفية التي قالها ﷺ قدر الإمكان.

من الأدلة أيضاً على أن تسمية أهل المغرب كان يطلقها ﷺ على أهل الشام الحديث الذي رواه البخاري: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ.

ومعلوم أن هذه النار هي النار التي ستخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر، وأرض المحشر هي الشام وليس المغرب، وإلا كان على رأي من قال إن أهل الغرب هم أهل المغرب فهذا يعني أن أرض المحشر هي المغرب، وهذا ما لم يقل به عاقل.

ومن الأدلة أيضاً، وهو من كتاب الله تعالى، قال تعالى: **{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ}**.

وهكذا فالآيات تتحدث عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في البيت الحرام، والشاهد في قوله تعالى: **{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**، فلم يقل قل لله الشمال والجنوب بل حدد المشرق والمغرب، وهو يخاطب نبيه ﷺ، قال المفسرون ومنهم شيخ المفسرين الإمام الطبري: يعني بذلك عز وجل: قُلْ يا محمد – لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: ما ولاكم عن قبلتكم من بيت المقدس، التي كنتم على التوجُّه إليها، إلى التوجُّه إلى شطر المسجد الحرام؟ فقال: إن لله مُلك المشرق والمغرب، يعني بذلك: ملكُ ما بين قُطرَيْ مشرق الشمس، وقُطرَيْ مغربها، وما بينهما من العالم، يَهدي من يشاء من خلقه، فيُسدده، ويوفِّقه إلى الطريق القويم، وهو "الصراط المستقيم" – ويعني بذلك: إلى قبلة إبراهيمَ الذي جعله للناس إمامًا– ويخذُل من يشاء منهم، فيضلُّه عن سبيل الحق.

وقال ابن كثير: إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له ، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل ﷺ، ولهذا قال: **(قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)**.

ومن الأدلة أيضاً: أن الشام هي أرض استقبال المسلمين في المرحلة القادمة من الأمة، أنها ستكون مركز الخلافة الإسلامية في بيت المقدس، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مُؤْمِنٌ إِلَّا لَحِقَ بِالشَّامِ. ابن ابي شيبة والحاكم وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ أَحَبُّ شَيْءٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَحْمِرَةٌ تَنْقُلُ أَهْلَهُ إِلَى الشَّامِ. الحاكم وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

لذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**. قَالَ مُعَاذٌ رضي الله عنه: هُمْ بِالشَّامِ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ: آخِرُهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**. رواه أحمد والترمذي وابن أبي شيبة والطبراني والبزار.

وأخيراً.. فمن أغرب ما استدل به بعض أهلنا قولهم إن أهل الصوف هم أهل المغرب وإن أهل الشام لم يكونوا يعرفون الصوف، وطبعاً هذا الكلام لا يرقى إلى أن نردَّ عليه لأن استخدام الصوف هو بدايات البشرية، خاصة في المناطق الباردة والتي فيها رعي الأغنام، وبلاد الشام هي من أشهر البلاد التي فيها الشتاء قارس وفيها مراعي الأغنام وغيرها من الأنعام.

ومع ذلك سنورد دليلاً من السنة على وجود الصوف في الشام في زمن النبوة، وهو ما رواه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى، في سننه عن عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ يَذْكُرُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي رَكْبِهِ وَمَعِي إِدَاوَةٌ فَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ فَتَلَقَّيْتُهُ بِالْإِدَاوَةِ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ وَعَلَيْهِ **جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ مِنْ جِبَابِ الرُّومِ** ضَيِّقَةُ الْكُمَّيْنِ فَضَاقَتْ فَادَّرَعَهُمَا ادِّرَاعًا ثُمَّ أَهْوَيْتُ إِلَى الْخُفَّيْنِ لِأَنْزَعَهُمَا فَقَالَ لِي: **دَعْ الْخُفَّيْنِ فَإِنِّي أَدْخَلْتُ الْقَدَمَيْنِ الْخُفَّيْنِ وَهُمَا طَاهِرَتَانِ**. فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا.

والشاهد: قوله (مِنْ صُوفٍ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: فِيهِ أَنَّ الصُّوفَ لَا يَنْجُسُ بِالْمَوْتِ لِأَنَّ الشَّامَ إِذْ ذَاكَ كَانَتْ دَارَ كُفْرٍ وَمَأْكُولُهَا كُلُّهَا الْمَيْتَاتُ.

وهكذا.. تتعاضد الأدلة، ووالله إن هذه المسألة من المسائل التي ما كنت لأخوض فيها وأقتطع من وقتي لها، وأشغل السادة القرّاء بها، لولا أنني اضطررت لذلك رداً على بعض المتعصبين وخشية أن تقوم فتنة في خروج من يزعم أنه المهدي بناء على مثل هذه الروايات التي تعصب لها، بل أكثر من ذلك أقول: هناك فعلاً من ظهر في بعض بلاد المغرب في زمننا وزعم أنه المهدي ولهم أتباع مغرر بهم، وما زعموا المهدوية إلا بناء على مثل هذه الأقوال المتشددة.

نسأل الله الرشاد والسداد والهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

# خاتمة الكتاب..

إن شخصية المهدي شخصية عالمية ختامية تمهيدية، ولن يبعثه الله تعالى إلا بعد أن تكون الأشراط التي ذكرناها في هذا الكتاب قد ظهرت قبله، ونستطيع تلخيص كل ذلك في هذه النقاط التي تبين شخصية المهدي، فهي:

١- **ختامية**: أي فرصة أخيرة لمن يعيش في آخر الزمان، حيث كبريات الفتن.

٢- **تمهيدية**: أي لنزول المسيح عليه السلام.

٣- **جهادية**: أي ليس خليفة بالصورة النمطية التي يتخيلها البعض إنما فاتحاً للبلاد.

٤- **تكريمية**: أي تكرمة الله لهذه القبيلة من قريش، التي اختصها الله تعالى فبعث منها نبياً للعالمين، وتكرمة الله لهذه الأمة الخاتمة؛ أن يبعث فيها ومنها من يصحح مسارها الختامي.

٥- **تأكيدية**: أي من خلال تحقيق ما أوصى به نبي الله في أن الخلافة في قريش، وأن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان.

٦- عالمية: حيث ما يناسب عالمية الرسالة والنبوة والكتاب، وبالتالي عالمية الختام.

بهذه الأركان الاربعة التي سوف تبني شخصية المهدي وضرورة وجوده في آخر الزمان، حتى يكون ختامها مسكاً، وحجة على الناس في تهاونهم في التمسك بوصية رسول الله التي ختم بها وصاياه لأمته بالتمسك بها، ألا وهي العترة المطهرة المصطفاة، وأحد الثقلين لهذه الأمة.

نسأل الله تعالى القبول والتوفيق والسداد، فهذا ما استطعت أن أجمعه وأفهمه عن آخر الخلفاء المهديين وهو الإمام المهدي، هذا والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

# صدر للمؤلف

**١- كتاب الخلافة المقدسية / عام ٢٠١٧**

**٢- كتاب الفتن الواردة في القرآن الكريم / عام ٢٠٢٠**

**٣- رواية البطشة الكبرى / عام ٢٠٢٠**

**٤- كتاب النطحة الثانية / عام ٢٠٢٢**

**٥- حلقات متعددة عن الملاحم والفتن على قناة: الملاحم والفتن الباحث المقدادي.**

**٦- موقع الباحث المقدادي على الشبكة العنكبوتية.**




والعالمية
في القرآن الكريم



**المؤلف**

**الباحث أبو عبدالله المقدادي**

**باحث في شؤون الفتن والملاحم ورائد من رواد هذا العلم الذين أصلوا وكتبوا الكثير من الأبحاث والدراسات في هذا الباب من العلم الشرعي .**




الإمام المهدي والعالمية في القرآن الكريم - نصر المقداد - 2022